



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل ط1: 1535091363

رقم التسجيل ط2: 1535113619

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري
بعنوان:

أسئلة الذات

في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لسعيد خطيبي

إعداد الطالبتين:

آسية بوساق - زايدي زينب

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

رئيسيا	جامعة المسيلة	الرتبة:
مشرفا ومقرا	جامعة المسيلة	الرتبة: أستاذ محاضر (أ)	هشام ميداغين
ممتحنا	جامعة المسيلة	الرتبة:

السنة الجامعية: 2020/2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



** شكر وتقدير **

لله بجميع المحامد الذي أمدنا بالصبر ووفقنا لإتمام عملنا
هذا، فكان خير معين، والصلاة والسلام على خير خلقه
محمد صلى الله عليه وسلم، المبعوث إلى خير الأمم وعلى
آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن كان من شكر وتقدير فللواحد الذي ساعدنا في إنجاز هذا
العمل المتواضع، ثم نتقدم بكامل شكرنا الجزيل للأستاذ
ميداغين هشام

والشكر موصول لأساتذة قسم اللغة العربية والأدب العربي
بجامعة المسييلة

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من كان له يد العون في
إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد

مقدمة

مقدمة:

تعد الرواية من أهم الفنون النثرية التي شهدت مستويات جمة في مستويات عدة، حيث عنت بذاتها وأدواتها الإجرائية من لغة ونقد وآليات الكتابة ووضعت نفسها موضع المسائلة والحوار، لتبث جدارتها وأحققتها بين الفنون الأخرى من خلال انفتاحها على مختلف الأجناس الأخرى .

وقد شهدت الرواية الجزائرية على غرار نظيرتها العربية والغربية نضجا فنيا وثورة كبيرة في لغتها السردية وهو ما جعلها تثبت تميزها على الساحة الأدبية والفكرية، ولعل سعيد خطيبي هو نموذج عن الروائي الفذ الذي لاقت رواياته استحسانا ونالت جوائز نظرا لما تحفل به الرواية من لغة متنوعة وطريقة سردية متميزة، فضلا عن كونها مغامرة فنية واعية. ومن هذا المنطلق اخترنا رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل لسعيد خطيبي الذي استحضر شخصية إيزابيل ابيرهارت فارسة الصحراء الجزائرية بأصالة في روايته هذه والتي كانت أنموذجا لموضع بحثنا الموسوم ب: أسئلة الذات في رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل ، والذي يمكن مناقشته تحت الإشكالية التالية :

- ما مفهوم الذات في الرواية وكيف تجلت هذه الذات في روايات سعيد الخطيبي؟

ويمكن أن تتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التالية:

- ما مفهوم الذات والآخر في الرواية؟ وكيف عالج سعيد خطيبي الذات من خلال الرواية؟

قمنا باختيار هذه الرواية للبحث فيها لعدة أسباب أهمها :

- أن الرواية جديدة في الساحة الأدبية، من إصدارات 1437هـ / 2016 م .

- كونها حائزة على جائزة كاتارا للرواية 2019 .

- أن الرواية آخر إنتاج للكاتب رغم تعدد أعماله الروائية.

ونظرا لأهمية الموضوع فقد كان محل دراسة الباحثين كدراسة "حكيم أومقران" في كتابه "البحث عن الذات في الرواية الجزائرية - الطاهر وطار- أنموذجا"، ودراسة "كوثر حجو" سيميائية الفضاء في رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل لسعيد خطيبي".

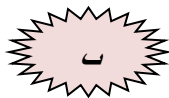
وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن نعتمد على إجراءات منهجية منها إجراءات المنهج الوصفي التحليلي الذي استفدنا منه في وصف طبيعة العلاقة بين الذات والآخر في الرواية الجزائرية .

وحتى نمد البحث بالمادة المعرفية المناسبة وضعنا خطة كالآتي:

مقدمة ومدخل عرجنا فيه إلى مفهوم النقد الثقافي والآخريّة والغيرية في النسق الثقافي، فالفصل الأول كان فصلا نظريا تناولنا فيه المفاهيم المتعلقة بالذات والآخر وخاصة الذات في الرواية الجزائرية والعربية، ونماذج للذات في روايات سعيد خطيبي، أما الفصل الثاني فجاء في صورة تطبيق على رواية سعيد خطيبي والذي تناولنا فيه سؤال الذات من منظور الآخر في الرواية حيث قمنا بدراسة إيزابيل ومرآة الذات بالإضافة إلى سؤال الذات من خلال تيمة الاغتراب وخاتمة لخصنا فيه أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على بعض المصادر والمراجع التي ساعدتنا كثيرا في بحثنا أهمها: رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل لسعيد الخطيبي، وحسين بحراوي بنية الشكل الروائي، وعبد الرحمان بدوي في موسوعة الفلسفة وغيرها من المراجع.

وقد واجهتنا بعض الصعاب كان أبرزها فيروس كورونا كوفيد 19 الذي ألزمتنا بضرورة الحجر الصحي مما أدى إلى إغلاق الجامعة والمكتبات ما نتج عنه صعوبة جمع المادة العلمية كما لم نستطع التواصل مع الأستاذ المشرف وبالإضافة إلى ضيق الوقت الذي منعنا من التوسع والتوغل في الموضوع.



وختاماً بفضل الله وبفضل توجيهات الأستاذ المشرف "هشام ميداغين" والذي لم يبخل علينا بالنصائح والإرشادات وتوجيهاته القيمة تمكنا من التغلب على الصعاب فله جزيل الشكر دون أن ننسى كل من ساعدنا في هذا البحث سواء من قريب أو من بعيد ونسال الله مزيداً من فضله وفيضه وأن يتقبل عملنا هذا فهو منه واليه.



مخلى

❖ مفهوم النقد الثقافي:

من المعلوم أن مصطلح الثقافة عام وعائم وفضفاض في دلالاته اللغوية والاصطلاحية ويختلف من حقل معرفي إلى آخر. وهو من المفاهيم العلمية في الثقافتين الغربية والعربية على حد سواء فالثقافة بطابعها المعنوي والروحاني تختلف مدلولاتها من البنيوية إلى الأنثروبولوجيا وما بعد البنيوية، وتندرج الثقافة مجاليا ضمن الحضارة التي تنقسم إلى شقين: النسق المادي والنصي ويسمى بالتكنولوجيا والنسق المعنوي والأخلاقي، والإبداعي ويسمى بالثقافة¹.

ومن ثم يمكن الحديث عن نوعين من الدراسات التي تنتمي إلى النقد الحضاري، الدراسات الثقافية التي تهتم بكل ما يتعلق بالنشاط الثقافي الإنساني، وهو الأقدم ظهورا، والنقد الثقافي الذي يحلل النصوص والخطابات الدينية والفنية والجمالية في ضوء معايير ثقافية وسياسية واجتماعية وأخلاقية، بعيدا عن المعايير الجمالية والفنية، وهو الأحدث ظهورا بالمقارنة مع النوع الأول ومن ثم فالنقد الثقافي نقد إيديولوجي وفكري وعقائدي².

وهذا ويرى مجموعة من النقاد الثقافيين (ليتش وعبد الله محمد الغدامي) وغيرهما... بأنه آن الآن للاهتمام بالنقد الثقافي باعتباره بديلا للنقد الأدبي، بعد أن وصل هذا النقد وحسب "عبد الله الغدامي" إلى سن اليأس، ووصلت البلاغة العربية بعلمها الثلاث (البيان والبدیع والمعاني) إلى مرحلة العجز والموت.

وعليه فالنقد الثقافي هو الذي يدرس الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة ويتعبير آخر، هو ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن، ومن ثم لا يتعامل النقد

¹ عبد الله الغدامي: قراءة في الأنساق العربية، المركز الثقافي العربي للنشر، المملكة المغربية، دار البيضاء، ط2، 2001، ص14.

² عبد الرحمن عبد الحميد علي: النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د ط، 2005، ص207.

الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية... إلى آخره. ومن هنا يتعامل النقد الثقافي مع النص الأدبي الجمالي ليس باعتباره نصاً، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية تضرر أكثر ما تعلن وينتصب هذا النقد إلى ما يحسب بنظرية الأدب على سبيل التدقيق، في حين تنتمي الدراسات الثقافية إلى الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع والفلسفة وغيرها من الحقول المعرفية الأخرى¹.

❖ الآخريّة والغيرية في النسق الثقافي:

اتسمت مسألة "الآخريّة" وأسئلة الهوية والاختلاف في الفكر العربي الحديث بطابع التوتر الذي يتجلى أحياناً في التمزق بين ماضي الذات وحاضر الآخر حيث الذات تشعر بتمزقها بين الحاضر الذي يبرز فيه الآخر الغربي بصورته المزدوجة كمتحضر ومستعمر. وبين الماضي الذي يقبع هناك في زمن مضى وانقضى، في مقابل هذا اتسمت طبيعة هذه المسألة في الثقافة العربية في القرون الوسطى، وهو السياق التاريخي والثقافي فالذات العربية في هذا السياق هي الفاتحة والمتسيّدة والمرحلة في الآفاق والعبارة لحدود الآخر شرقاً وغرباً.

إن هذا الاختلاف بين السياقين الوسيط والحديث في العلاقة بين الأنا والآخر إنما يعكس اختلافاً جلياً في صورة الآخر في الثقافة العربية، وفي مجال الآخريّة: فإذا كان مجال الآخريّة في السياق الحديث قد اختزل في الغرب وحده، فإن مجال الآخريّة في السياق الوسيط كان متشعباً ومتعدداً، وكان "الأسود" واحداً من أولئك "الآخرين" الكثر الذين عرفتهم الثقافة العربية، وسعت إلى تمثيلهم بطرائق متعددة، إلا أن ما يميز تمثيلات الأسود هو ضخامة التمثيل الذي أنتجته الثقافة العربية عن هذا الآخر.

¹ - المرجع السابق: عبد الرحمان عبد الحميد علي، ص 229 .

لا تخلو ثقافة من الثقافات من تمثيل للذات أو للآخر، فالتمثيل هو الذي يعطي للجماعة صورة ما عن نفسها وعن الآخر، أي أن الآخر هو "غير المسلم" وغير المسلم هذا قد يعتنق الإسلام ويصير مسلماً ومنضوياً في الهوية الثقافية العربية، حيث أن الإسلام من أن أهم مكونات هذه الثقافة إلى درجة أنه ورد في الأثر من ولد في الإسلام فهو عربي ومن تكلم بالعربية فهو عربي ومن أدرك له اثنان (أبوان) في الإسلام فهو عربي¹.

إن هذه الأقوال تعبر عن انفتاح الهوية الثقافية وقدرتها على احتضان الآخرين، كما أنها تعبر عن تسامح الإسلام وتجاوزه المشهود لحواجز اللون والعرق.

لقد اصطدمت هذه الثقافة بآخرين "أعداء" لأنهم غير مسلمين، فكل ثقافة آخرها العدو، ولعل أبرز مثال على ذلك هو تلك الكيفية التي تعاملت بها هذه الثقافة مع الآخر "الأسود المسلم وغير المسلم"

وبناء على ذلك يمكن القول بأن في هذه الثقافة آليتين تشغلان معا بصورة متعارضة "الآلية الأولى هي آلية الجذب والدمج والاحتضان، والآلية الثانية هي آلية الطرد، ونتيجة لهذا التعارض بين الآليتين فإن ممارسة التمثيل ومعرفة الآخر في هذه الثقافة شهدت الكثير من المفارقات ولعل أهمها تلك المفارقة المتعلقة بالوضع الملتبسة للآخر الأسود في المتخيل العربي الوسيط، فقد أتاح الإسلام للأسود أن يندمج في الهوية الثقافية للمجتمع العربي الإسلامي وهذا ما حصل مع "بلال الحبشي ووحشي بن حرب" بعد أن أسلم.

حيث أن جميع النصوص تشترك في كونها حاملة لأنساق الأمة ومتخيلاتها الثقافية فهي تعبر عن هذه الأنساق والمتخيلات وتسهم كذلك في تشكيلها كما أنها تمثل الفضاء الذي يشهد انكشاف علاقات القوة والهيمنة بين الجماعات والثقافات والهويات.

¹ - ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تر: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، ط2، 1995، ص168 .

الفصل الأول

الذات والآخر في الرواية الجزائرية

تمهيد:

حظي موضوع الذات باهتمام عدد كبير من الباحثين والمفكرين في مختلف العلوم الإنسانية، وذلك نظرا لأهميته الكبيرة التي أدركها الإنسان، إذ منذ بداياته وهو يحاول استكناه ذاته التي تستوجب بدورها استكناه الآخر الذي لا يمكن تغييبه، في إطار هذه المحاولة ما يقودنا إلى الجزم أن حضور الذات يستدعي حضور الآخر الذي لا تتأتى للذات معرفة نفسها بمنأى عنه، وسواء اعترفت بذلك أم لم تعترف فإن الآخر النقيض ليس غريبا عنا بل هو مندرس فينا متبطن لنا منزل في أعماق الوعي ولا الوعي¹، ومرد هذا أن جدل الذات والآخر وجد بوجود الإنسان ، ويعكس هذا البحث رحلة الذات وسعيها الدائم من أجل إدراك ذاتها (الوعي بالذات) والذي لا يتحقق إلا عن طريق الآخر.

أولاً: مفهوم الذات والآخر

إن جدل الذات والآخر جدل قائم منذ الأزل وهي علاقة تقوم في الواقع الإنساني العام على أساس من التعارض يصل في كثير من الأحيان إلى صراعات ضارمة، وقد طغت هذه الثنائية في الأعمال السردية العربية انطلاقاً من الشعور بضياح الهوية، لتبحث ع ذاتها المفقودة أمام الآخر المسيطر عالمياً، وقد وجد الباحثون والفلاسفة صعوبة في تحديد معنى الذات والآخر، لأن البحث فيه دقيق ومتشعب وهو مفهوم مراوغ يستعصي التعريف والحد الإصطلاحي.

1- مفهوم الذات:

- لغة: وردت في الصحاح بمعنى: - ذات الشيء: حقيقته أو جوهره ويعرف "الجوهري" لفظة الذات على أنها {مجموعة الحقائق التي تميز الشيء عما سواه وتساوي الماهية}². وتطلق الذات "sujet" على الجانب المدرك في الإنسان في مقابل الموضوع "objet".

¹ - سعد البازغي: شرفات للرؤية، العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب بيروت، لبنان، ط5، 2005، ص191.

² - مصطفى سوييف وآخرون: معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1975، ص277

- ذات الشيء "Enemce" إذا استعملت هكذا مضافة فانه يعنى بها ماهية الشيء أو جزء ماهيته.

- "En soi" يستخدم هذا الاصطلاح للدلالة على طبيعة الشيء بذاته بمعزل عن الأشياء أو الاعتبارات الأخرى.

- ذاتي "Subjectif" نسبة إلى الذات.

- ما يخص الفكر البشري وحده في مقابل ما يخص العالم الطبيعي بهذا المعنى يقال عن الكيفيات الثانوية أنها ذاتية ليس من حيث أنها تختلف من شخص إلى آخر ولكن من حيث عدم مشروعيتها في تكوين تصورات منطقية.

- ذات: مؤنث: ذو، بمعنى صاحب، يقال: "ذات مال وذات أفنان"، وجاء فلان بذاته: عينه ونفسه، عرفه من الذات نفسه سريرته المضمرة .

- من الناحية الاصطلاحية:

أ- اجتماعيا: أن المجتمع هو صاحب الدور الأساسي في تكوين حياة الأفراد، ويعرف علماء الاجتماع الذات على أنها: [بناء يفترض وجوده باعتباره أساس تحقيق التكامل والاتصال بين خبراتنا جميعا أي الأساس الذي يجمع بينها في كل منظم ومتصل} هذا التعريف الاجتماعي لمفهوم الذات، يقوم على أساس الوحدة المتكاملة بين أفراد المجتمع الواحد، وجوهر قيام هذه الوحدة هو الاتصال بين مختلف الخبرات، أي النشاطات الفكرية أو المادية التي يقوم بها الأفراد وهذه الخبرات توصل المجتمع إلى بناء ما يكونه على أساس التكامل والاتصال.

يرى عالم الاجتماع "كولي": {أن الذات تنمو من المخالطة مع الآخرين وأن الأصل

الاجتماعي لحياة الإنسان يأتي عن طريق أوامر الاختلاط أو المعاشرة مع الآخرين}¹.

¹ - الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص325.

إن عملية الاتصال التي يتحدث عنها "كولي" والتي قام بطريقة ديالكتيكية بتحقق في تلك العلاقات التي يحدثها العمل، يقول "ماركس" {إن الإنسان لا يحقق ذاته وكماله على أي شيء من المجرّدات مثل الألوهية والأديولوجيات، وإنما يحقق نفسه بالاتحاد مع العالم بواسطة العمل الخلاق والنشاط والبناء والعلاقات الاجتماعية العينية المنسجمة}¹.

ب- أخلاقيا: إذا كان مفهوم الذات لدى علماء الاجتماع يعرف بمعنى: {التكامل والتواصل بين الظواهر الاجتماعية المختلفة وعلاقة الفرد بعالمه الخارجي}، فإن لعلماء الأخلاق مفهوما وتفسيرا آخر إذ هي عندهم {وعي الإنسان لذاته كشخصية لمكانته في نشاط الناس الاجتماعي المشترك، وبفضل وعي الذات يكتسب الإنسان القدرة على مراقبة الذات وإمكانية التوجيه الهادف لتصرفاته، وضبطها وتربية الذات وفي صلب وعي الذات عند الشخصية تقوم قناعاتها وموقفها الذاتي منها}².

يرتكز مفهوم الذات عند علماء الأخلاق على وعي الإنسان كمفرد ووعيه ضمن مجموعة أفراد، وبفضل الوعي يتوصل الإنسان إلى تحقيق ذاته ومراقبتها وتربيتها وينعكس موقف الإنسان من ذاته كشخصية أخلاقية في مفهومي الكرامة والشرف، وقدرة المرء على تحقيق قناعاته من خلال الضبط الذاتي لأفعاله هي الضمير³.

وترتبط الذات ارتباطا وثيقا بالقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع وهي الكرامة- والشرف- والقناعة، ويضاف إلى هذه القيم الوسيلة المساعدة أو القائمة على بناء الذات ألا وهي الضمير، والضمير هو المحكمة الباطنية التي توجه سلوك الإنسان، وهي التي تحكم على الأشياء بالخير أو الشر فيقترب الإنسان منها ويمارسها أو ينفّر منها ويستقبحها ويحاربها لكي لا تؤثر على سلوكياته.

¹ عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج2، 1984، ص421.

² معجم الأخلاق: تر: توفيق سلام، دار التقدم، موسكو، دت، ص426.

³ المرجع فسه، ص426.

ج- نفسيا: يطلق علماء النفس في تعريفهم لمفهوم الذات بالفصل بين الكائن الإنساني كمادة حيوية وعقلية من جهة وكحياة حسية وشعورية ونفسية من جهة أخرى وتعتبر الحياة النفسية العنصر المسير لسلوك الإنسان وأفعاله، فهي إثبات الأنا "تقويته" وتوفير الحاجات لها، وذهب علماء النفس إلى أنه يملك كل كائن شمسا داخلية في ذاته، والمهمة الرئيسية هي أن يكتشفها وأن يلتحق بها حتى الالتصاق لكي يصير كله شمسا.

إن الغاية التي ينشدها الباحث عن الذات في جانبها النفسي هي: البحث في حس الحياة، وبحث في الاعتناق، يعني اكتشاف الحقيقة، حقيقة تظهر وتتجلى بصورة دائمة الجدة وتصنع معرفة الذات من الإنسان كائنا حرا¹، ومن الحرية والاعتناق يصل الإنسان إلى الحكمة، بها يكتشف نفيه وبهذا الاكتشاف يصبح خالق ذاته.

يأمل الفيلسوف والمحلل النفسي الاجتماعي "إيريك فروم" في بناء شخصية إنسانية جديدة تقوم على المحبة والأخلاق السامية، والقيم العالية، والنشاطات المنتجة التي تعود بالفائدة على الجميع، دون إقصاء أو حسد أو حقد، يقترح "فروم" على المجتمع البشري حلا للقضاء على المرض الذي أصاب إنسانا اليوم، إنشاء مجتمع جديد يعيد للإنسان إنسانيته: وهو المجتمع الذي يرتبط فيه الإنسان بالإنسان برباط المحبة وتمتد فيه جذور الأخوة والتكاتف، وينتج للإنسان التعامل مع الطبيعة بالخلق لا بالتدمير ويكتسب فيه كل فرد شعورا بذاته على أنها ذات قيمة فعالية، وليس عن طريق الخضوع والامتثال².

د - فلسفيا: ينطلق بحث الفلاسفة عن الإنسان وعن الذات ومن قاعدة أساسية تقول إن الإنسان كائن روحاني ، لأنه لا يستطيع أن يتجاوز وضعه ككائن عضوي، وككائن اجتماعي ، وأن يتحرر إلى حد ما من علاقته بجسمه، ومن ضغط المجتمع عليه يعيش حسب مقتضاة روحه، ولا يكون مجرد انعكاس لما يجري في جسمه أو مجرد صدا لما يقال

¹ - ماري مادلين داقلي: معرفة الذات، تر: نسيم ناصر، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3 ، 1983، ص10.

² - إيريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، تر: سعد زهران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص13.

أو يجري في مجتمعه¹، ولا بد عند إذن من التفريق بين "الأنا" بوصفه فردا وبين "الأنا" بوصفه شعورا بالذات.

يقول نيتشه: {أنا بوصفي فردا تتحدد من حيث بلاده وتكوينه الجسماني والعقلي؟ إنما أنه كذلك نتيجة أسباب ليست هي أنا لأنها ليست غايتي الشعورية الخاصة، لأنها أمور تتعلق بالأنا، والعلم الخارجي، والظروف المحيطة أما "أنا" بوصفي شعورا بالذات، فأنا فعل نفسي ذاتي وهذا الفعل يغير أحوالي، ويجعل مني كائن آخر غير الذي كنته، انه يجعل اعتمادي إلى الحرية²، ويرد "نيتشه" قائلا {اجعل نفسك حرا، هناك يصبح كل ما هو أنت، وكل ما تفكر فيه، وكل ما تفعله، كل هذا يصبح في الحقيقة فعلك أنت³.

أما الفيلسوف الألماني "هيدجر" فيقول: {الوجود في كل مكان، وهو وجود الإنسان ووجودنا نحن هو الذي ينبغي أن نبدأ البحث به، إذ لا توجد نقطة ارتكاز أخرى أقوم من الإنسان⁴، فنقطة ابتداء البحث في الوجود ينبغي أن تكون إذا هي تحليل وجود الإنسان، وأول خاصة جوهرية لوجود الإنسان هي: {أن وجوده لا يشبه وجود الشيء، لأنه لا يبدو أبدا كنسخة من هذا الصنف أو ذلك، وثاني خاصية هي أن قانون هذا الوجود هو التغيير من فرد إلى آخر، ومن هنا إلى كل الحق في أن أقول أنا⁵، وهذا الأنا، ليس موضوعا ثابتا بل يميل دائما إلى أن يعطي نفسه المزيد، أي أنه المشروع ذاته باستمرار.

2.- مفهوم الآخر:

- لغة: جاءت لفظة الآخر في معجم لسان العرب "لابن منظور" كونها {أحد الشئيين وهو اسم على أفعال، والأنثى أخرى إلا أن فيه معنى الصفة لأن أفعال من كذا ولا يكون إلا في

¹ - الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص325.

² - عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج2، 1984، ص141.

³ - المرجع نفسه، ص600.

⁴ - المرجع نفسه، ص601.

⁵ - المرجع نفسه، ص601.

الصفة والآخر، بمعنى غير كقولك رجل آخر، وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استقلتا فأبدلت الثانية ألفا لسكونها وانفتاح الأولى قبلها¹.

ووردت هذه المفردة في معجم "المنجد" على أنها {أحد الشخصين أو الشئيين ويكونان من جنس واحد، أو هو ما يدل على فرق، على تمييز بين شخصين أو شيء مقصود وأشخاص أو أشياء من الفئة ذاتها والجنس نفسه > إنك تحب آخر< أي أن من تحب ليس بالشخص المقصود ذاته بل غيره².

ومن خلال التعريفين اللغويين يتبين لنا أن الآخر هو نقيض الأنا والمختلف عنه، سواء في الجنس أو الصفة أو غير ذلك.

- اصطلاحاً:

بالنسبة للمفهوم الاصطلاحي لمفرد الآخر، فإنه من الصعب أن نجد له مفهوماً واحداً ومستقراً { وذلك بسبب مرونة الحدود التي تضبط مساحته، تبعاً لاختلاف معناه في المرجعية الثقافية للمهتمين به فقد يميل المفهوم نحو <الآخر المختلف> الذي لا يخرج عن إطار النسق الثقافي للجماعة التي تعده آخر، وقد يراد به <الآخر المختلف> الذي ع إطار النسق الثقافي لتلك الجماعة³.

أما إذا اتجهنا إلى أبسط مفاهيمه، فيمكننا القول بأنه {مختلف بشكل أساسي عن "نحن" وبالنسبة إلى "أرسطو" فإن الآخر المستبعد هو الغريب، الذي لم يتمكن من استخدام وفهم اللغة المشتركة "اليونانية" ونتيجة لذلك أصبح البربري هدفاً للمطاردة أي أصبح عبداً⁴.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة 1988، مادة آخر، مج 01، ص 65.

² - أنطوان نعمة وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مادة آخر، ص 11.

³ - لؤي خليل: الأدب والموقف من الآخر (حي بن يقظان لابن طفيل وروبنس كروز لدانيل ديغو نموذجاً)، مجلة الجامعة، دمشق، سوريا، 2014، ع 21، مج 30، ص 74.

⁴ - فيلهو هارلي: مفهوم ومواريث (العدو) في ضوء عملية التوحيد والسياسات الأوربية ضمن كتاب: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، إشراف، الطاهر لبيب وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1999، ص 54.

بمعنى أن "الآخر" في منظور "الأنا" مختلف عنها فاللغة التي يستخدمها كلا منهما هي لغة مختلفة وغير مشتركة ومما سبق نجد أن الآخر ليس شرطا أن يكون مختلف في الجنس والصفة فقط، وإنما يتجلى أيضا في اللغة المتداولة.

- الآخر في المفاهيم النفسية والأدبية

لقد شغل لفظ الآخر عدة تعريفات مختلفة إذ يقول "شاكر عبد الحميد" {الآخر قد يكون أحد وقد يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم، خلافا لآخر قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا وقد يكون عدوا، يفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه¹، بمعنى أنه يكون في مواضيع عديدة، وليس شرطا أن يكون في موضع واحد.

أما مفهوم الآخر في منظور علم النفس فإنه يشير إلى: {مجموعة من سمات السلوكيات الاجتماعية والنفسية والفكرية التي ينسبها فرد لذات أو جماعة ما إلى الآخرين²} أي تلك المميزات أو الصفات التي يكونها الفرد أو جماعة عن ذلك الآخر.

وما يمكن استنتاجه، هو أن الآخر لا يخرج عن مفهوم واحد وإنه لا يختلف تماما عن الأنا، أي لكل طرف خصائص تميزه عن غيره ولكي تتحقق الخاصيتان الأوليتان، يجب توافر خاصية ثالثة ألا وهي الحرية: {فأنا الذي يقرر طريقة وجودي بنفسي، وذلك باختياري... وهكذا فإنني أختار نفسي في وجودي وأنا مسؤول عن ذاتي³.

يرى أصحاب المدرسة الوجودية التي أسسها وقتها "جان بول سارتر" {أن الإنسان شيء بجسمه، لأن الجسم هو الصورة الممكنة التي تتلبس ضرورة إمكانه، الإنسان شيء بماضيه فالماضي هو الجملة، التي تنمو دائما وينمو معها الوجود في ذاته الذي هو نحن الإنسان في النهاية شيء بالموت الذي هو انتصار الوقائعية، وغاية اللامعقول في وجوده، لأنه يحول حياته إلى قدر ويحول إمكانياته المستقبلية إلى عدم}.

¹ - عمر وعبد العلي علام: الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)، ص 12.

² - سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي، العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، ص 11.10.

³ - مالك أحمد أبو ناصر: تحقيق الوجود الإنساني في التصوير الإنساني، منشأة المعارف، مصر، د ت ص 43.

إننا في كتابنا هذا، سنوظف مصطلح الذات بمعنى تلك الروابط السياسية والدينية واللغوية والثقافية والتاريخية والحضارية التي تجعل من مجموعة أفراد كيانا وتسمح لهم بتكوين وحدة مترابطة تسمى أمة تشمل شعبا أو ذاتا عامة لها حياة خاصة وإرادة منفردة تختلف عن ذات شعب آخر.

ولقد عبر الأديب "جبران خليل جبران" عن ذلك بأسلوب فني شعري، متحدثا عن الأمم وذواتها مميزا بين الذوات فقال {إن الذات اليونانية قد استيقظت قبل المسيح ومشت بعزم وجلال في القرن الخامس قبل المسيح، أما الذات العربية فقد تجوهرت وشعرت بكيانها الشخصي في القرن الثالث قبل الإسلام¹، ولم تتمخض بالنبي - صلى الله عليه وسلم - حتى انتصبت كالجبار...ولما بلغت العباسيين تربعت ... ولما بلغت عصارى نهارها كرهت الذات العربية يقظتها فنامت ولكن نوما خفيفا منقطعاً ... وأغرب الذوات في التاريخ هي الذات الفرنسية فهي عاشت ألفي سنة أمام وجه الشمس، ولم تنزل في شببية ونظرة .

ثانيا: الذات في الرواية الجزائرية والعربية

إن الروائي وهو يكتب روايته يعيد اكتشاف ذاته التي تتخذ في النهاية صورة مغايرة لما كان يتوقعه أو ينتظره في النهاية إما بسبب إكرامات النظام الرمزي أو بسبب اكتشاف عناصر أخرى من المتخيل كانت مغيبة في اللحظة البدئية، ويجب أن نحترز أن الروائي يعكس الذات التجريبية التي تنتمي للواقع الخارجي في حين أن الذات المكتشفة هي ذات إبداعية مبدعة في النص وقد نسبه "إدريس بللمليح" إلى كون الذات الإبداعية التي تنتج الخطاب تختلف عن الذات المرجعية.

إن الذات لا تقف بإزاء ظواهر العالم الخارجي وقضاياها بثبات إنها ذات متغيرة، فالتجربة الأولى تحدد كثيرا من قدرات هذه الذات في النجاح أو الإخفاق لتجاوز تجربة ثانية مشابهة، وقدرة الذات على الاستيعاب، تتغير تبعا للمعرفة والمهارات التي تمتلكها، كما أن الرغبات التي تعبر عنها الذات تتعرض بفعل إكراهات العالم الخارجي إلى ردود فعل الذات

¹ جبران خليل جبران: الأرواح المتمردة، الأنيس للنشر، الجزائر، 1993، ص 218- 219 .

في شكل انفعالات أو ظهور العدوانية أو تخيلات كإبداع أو أحلام اليقظة تنفسيا عن الكبت الذي تعيشه. ولا شك أن تكرار هذه التجربة مرارا والوقائع المتتابعة التي يغزو من خلالها العالم الخارجي الذات، وتوالي الاحباطات على تماسك الذات ويفقدها توازنها، ويأتي الإبداع الروائي متفاعلا لهذه الانكسارات¹، ومنه فإن بناء الذات سواء من قبل المبدع باعتباره القارئ الأول أو من قبل الناقد يمر عبر كشف الذات وتمظهراتها في الرواية.

وهذا واضح جليا من خلال رواية "امرأة بلا ملامح"، لكامل بركاني - فإن الذات تتفاعل مع فضاء "باتنة" إبان إرهابات الحرب الأهلية، عقب الانقلاب على نتائج الانتخابات النيابية وحرب الخليج الأولى 1991.

لكن بالرغم من هذه الإشارات التاريخية إلا أن الروائي بصفة عامة سيكتف أن ينقل الواقع مباشرة كما هو إذ يعتمد إلى نقله من خلال تفاعل الذات معه، مما يعني أن هذه الأحداث والإشارات خاضعة منذ البداية لنظرة الذات، فهذه الأحداث المتسارعة التي تعيد تشكيل العلاقات بين هذه الذات تؤدي إلى تمزيق الذات {مراد في الشطر الأيمن... وسمير في الشطر الأيسر فهل سيتخاصم شطرا ذاكرتي ويحترقان}² لان هذه الذات لا تستطيع أن تفهم واقعها: {أعوام تساقطت تحت أقدامي ولا زلت أتساءل السؤال نفسه بكل اشتغالاته، من كان يحرك الدمى من خلف الستائر}³.

كما تبدو الذات متماسكة خصوصا وان السارد يسعى إلى إعادة بناء ذاته من خلال إعادة بناء ذات الآخر - هيفاء - جدته فطوم - أمه - سمير - مراد - فإذا كانت الذات هي الصوت فإن الآخر هو الصدى، كما يقول: {كانت باكورتى الشعرية، قد نزلت إلى المكتبات، اخترت لها عنوان طويلا...}⁴.

¹ الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية، قرارات مغربية، دار النشر، رابطة أهل القلم، ط1، 2008، ص170.

² كمال بركاني: رواية امرأة بلا ملامح، منشورات اختلاف، الجزائر، ط1، 2001 .

³ المرجع نفسه، ص14 .

⁴ المرجع نفسه، ص116 .

والرواية بكائية لهذا الوطن الذي ابتلى بالخرائب والتمزق الداخلي الذي تفاعلت معه الذات انشطارا وتمزقا، فقدت معها ملامحها، فإذا كانت "هيفاء" تبدو وباعتبارها حلما مشتهي وموضوعا مرغوبا ممتعا فإن الذات التي تعجز تحقيق إشباعها إنما تسعى إلى اكتشاف رغباتها في ضوء المواضيع التي ترغب فيها وهي في نهاية المطاف ليست سوى ابدالات لهذه الذات، "فهيفاء" هي الأم والجدة والمدينة! أليست هيفاء هي المرأة التي ترى فيها الذات نفسها؟ { كانت الأندلس جوهرة العرب، وجنة مفقودة... ولست ادري لم تخيلت في لحظة الأندلس ترتدي أثواب "هيفاء" تقف قبالي ترشقني بتوابل من سباب وشتائم..¹ فهيفاء إبدال للوطن بالنسبة للذات وإبدال لكل النساء اللواتي عرفهن، وما يؤكد هذا الإبدال قوله: { ترى هل شعرت بحقد ما تجاه وطن اغتصب مفخرته! اشك في ذلك... باتت امرأة استثنائية²، حيث تعرضت هيفاء للاغتصاب والذات تسقط هذه الواقعة على مدينة باتتة.

في "ذاك الحنين" (للحبيب السائح) مداح الحلقة أعلن منذ البداية أن تعدد الأسماء لا يعني شيئا، فالذات متفرقة في ذوات أخرى وقال: { هي حسنيه أو علجية، أو بهجة أو سعدية أو حبارة أو ياسمينية، ثم قال :سموه حمر العين أو بوحباكة أو الخامبو أو حمو القط أو بلغرايب أو خليفة المداح³. فهذه التسميات لذات واحدة، كما أن السرد يوحى بان هناك مسافة موضوعية تقيمها الذات بينها وبين الموضوع أو بينها وبين الأشياء، لكنها متورطة غير محايدة، فالذات تجرد من نفسها ذاتا أخرى، توجه لها الخطاب وهي المقصودة به، وبحسب التعريف البلاغي: { فالتجريد هو أن تنتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في الصفة أو أن تأتي بكلام أن يكون ظاهره خطابا لغيرك وأنت تريده لنفسك فتكون قد جردت الخطاب عن نفسك وأخلصته لغيرك⁴.

¹ - كمال بركاني: رواية امرأة بلا ملامح، المرجع السابق، ص 78 .

² - المرجع نفسه، ص 108 .

³ - الحبيب السائح: رواية ذاك الحنين، دار الحكمة، ص 11 .

⁴ - جابر عصفور: غواية التراث، كتاب العربي، ع 62، ص 82 .

فالسارد هنا مجرد من نفسه ذواتا أخرى، تصدر خطابات وتوجه إليها خطابات ولكنها جميعا صادرة عن ذات واحدة في ذات السارد، والذوات الأخرى ما هي إلا مرابا تجتلي فيها الذات صورتها، في محاولة للوقوف حيال الموضوع المرغوب فيه بموضوعية، أليس بلغرايب خليفة للمجاح والمداح يعترف بنفسه بأنه ليس: إلا بلغرايب ذاته: {ومن قبل ما أنه أن يستهزئ من حكايا خليفة المداح وبصق على الأرض إن كانت فكرة أن يتحول إلى مداح حلقة تصوير حقيقة¹}.
كما تطرح رواية "اللاز" للطاهر وطار، من خلال أحداثها وشخصياتها الإشكالات المعقدة التي تصاحبت والثورة المسلحة ، بكل خلفياتها التاريخية والسياسية والفكرية .
إن جوهر هذه الإشكالات هو تساؤل الجزائري عن ذاته، من هو؟ إلى أين يسير؟
لماذا يصارع الفرنسي ؟ كيف سيكون مستقبله بعد إفراج الفرنسي؟.

هاهو "الشيخ الربيعي" الذي فقد ابنه قدور في الثورة ، يتأمل ذاهلا ومستغربا للحالة التي آل إليها مجاهدو الثورة، وأفراد الشعب الجزائري لم يتغير منهم شيء {إننا كما عرفنا أنفسنا منذ خلقنا الشيشان على رؤوسنا، تكاد تقطر وسخا، البرانس مهلهلة، رثة، متداعية، والأحذية مجرد قطع من الجلد أو المطاط تشدها أسلاك صدئة ، والأوجه زرقاء جافة²}.
صفات إنسان بسيط لا يولي لحياته ولهendamته اهتماما على الرغم من كل ما كان يطمح إليه من قبل، فصار كل شيء أمامه خرابا ودمارا ومآسي.

يلحق "الشيخ الربيعي" { ليس لنا من الماضي إلا المآسي وليس لنا من الحاضر إلا الانتظار وليس لنا من المستقبل إلا الموت }³، لا تختلف صورة الإنسان الجزائري الحاضرة عما كانت عليها في الماضي التي يصفها الشيخ بالمآسي "فقدور" ابن "الشيخ الربيعي"

¹ - جابر عصفور: غواية التراث، المرجع السابق، ص16 .

² - الطاهر وطار: رواية اللاز، الشركة الوطنية للشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1981، ص10 .

³ - المرجع نفسه، ص10 .

حين ألقى القبض على "اللاز" صعب عليه اختيار موقف صارم أمام هذا الحادث الطارئ الذي قد يكون مآله الموت .

خاف " قدور " أن يكشف أمره بأنه يتعامل مع المجاهدين، أنه ممولهم بالمال والغذاء كونه تاجرا { قدور الرجل التاج، الريفي، الفلاح كباقي الفلاحين كلهم حذرون لا يطمئنون إلا لأنفسهم وخططهم}¹.

"قدور" لم يعرف مواجهة الموقف أو كيف سيعلم أمه كيف سيقنعها عن غيابه، وفراق حبيبته " زينة " التي يرغب الزواج بها، كل خطته هاهي تضيع وتزول { فهذه الحياة حين ينتهي شيء يبدأ شيء آخر، ينتهي السلم لتبدأ الحرب }².

كل هذه المواقف والعقد والرواسب التي لحقت " بقدور " تصفها لنا الرواية مبينة ومعبرة عن خبايا نفسية داخلية للإنسان.

لا تكشف الرواية عن علة الضيق، غير أن موضوع الرواية العام يبرز مدى بطش الاستعمار وقساوته على الشعب الجزائري { لقد وقع على إثر هذه العمليات أمر مهم يستحق التنويه، وهو أن العرب بعدما آلت أراضيهم إلى الدولة نتيجة تطبيق قرار حصر الملكية، استعاد البعض منهم تلك الأراضي بالشراء من الأوروبيين... أما الذين لم تتوافر لديهم الإمكانيات المادية للشراء، فقد طلبوا من الأوروبيين أن يسمحوا لهم بالبقاء في أراضيهم كمزارعين }³.

وبحصر الملكية والأراضي أضاع الريفي مصدر قوته اليومي وقوت أولاده، كما أساء الاستعمار أيما إساءة للإنسان الريفي { فلم يبقى منه إلا هيكل جامد من العادات والتقاليد التي حافظت على الرمق الأخير من الحياة، ولم يبقى له أثر للثقافة }⁴، وصار لا يرى إلا ما حوله، لا يحيا إلا حياة آنية، لا يفقه سر الحياة، وتطور التاريخ وتحوله، فالتاجر

¹ - ، المرجع السابق، الطاهر وطار، ص 20 .

² - المرجع نفسه، ص 18 .

³ - مصطفى الأشراف: الجزائر الأمة والمجتمع، تر:حنفي ابن عيس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 14 .

⁴ - المرجع فسه ص 22 .

تاجر، والفلاح فلاح، والقروي قروي، وهذا ما يريد " زيدان " التعبير عنه بأفق ضيق كأفق الفأر، وبالتالي من الصعب مخاطبتهم بلغة السياسيين والعسكريين لاقتحام قلوبهم وتجنيدهم في صفوف المجاهدين { لو كانت الأغلبية أو حتى النصف من العمال، لكانت المهمة سهلة، لكنك أعرف كيف أخاطبهم، كيف اقتحم قلوبهم وعقولهم .. أما وهم خليط من التجار والعمالين والمزارعين والعسكريين... فلن يتصوروا ما أريد أن أصوره }¹.

هذه حقيقة الإنسان الجزائري أيام الاستعمار حقيقة أولها وآخرها علقم ومرارة وموت وحياة شبيهة ب { معيشة الكلاب على حد تعبير حمو }².

أما رواية "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس، فإن الكتابة الروائية لم تبقى على حالها فقد تغيرت { وبدأت تثور من الخمسينيات وإلى حدود الستينيات نتيجة لعوامل نذكر من بينها... بداية التخرج لنخب متعلمة في مجالات الفكر والأدب والصحافة والوعي السياسي، مع تضاعف الحس الوطني والوعي القومي والثورة والتمرد على الأوضاع المختلفة، وما خلفه الاستعمار من خنوع وخضوع }³، وكل هذه الأسباب مجتمعة ساهمت في رسم صورة ذات جديدة على مستوى الخطاب الروائي، الذي أصبح أكثر معقولة بابتعاده عن تضخيم الذات وتقزيم الآخر وفتح الباب بمصراعيه أمام الحوار والمثاقفة بأبعادها المختلفة وهذا ما ترصده لنا رواية "الحي اللاتيني" 1953 " لسهيل إدريس " التي تترجم الوعي بالذات فهي { تبدأ مرحلة جديدة من مراحل صور الغرب في الرواية العربية المستمدة من الحقائق الاجتماعية والثقافية والتاريخية، بدأ فيها الوعي بالذات وبالآخر أكثر واقعية ومعقولة من تلك التي عبر عنها الجيل السابق }⁴.

¹ - المرجع السابق، الطاهر وطار، ص 161 .

² - المرجع نفسه، ص 26 .

³ - منصور قيسومة: اتجاهات الرواية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، الدار التونسية للكتاب، 2013، ص 84 .

⁴ - ينظر: بعلي حفناوي: تمثلات الممنوع والمقموع في الرواية العربية المعاصرة، دار اليازوري العلمية، ط 1 ، 2016، ص 84 .

وبالتالي فإن رواية "الحي اللاتيني" تمثل بداية تسلسل الوعي للذات العربية التي تجاوزت مرحلة الانبهار والوعي النسبي عن طريق اكتشاف الآخر فمكاشفة الذات في الوعي بكليهما.

إن {الحي اللاتيني تريد أن تؤرخ ليقظة وعي لا تفلح إلا أن تكون قصة اللاوعي الذي يغلب الوعي ويجند له وبكلمة واحدة إن الحي اللاتيني التي تريد كما تشير آخر جملة فيها أن تكون قصة عودة إلى النهاية ولا غزو من وجهة النظر هذه، إلى أن تنتهي رواية الحي اللاتيني بالمشهد ذاته الذي بدأت به: سفينة وشاطئ لكن في اتجاه معكوس تدنو بدل أن تتأى¹، وهذا ما يتجلى لنا من خلال الرواية التي تبدو فيها الذات أكثر تحرراً، حيث تتجرد من الأغلال المكبلة للذات الشرقية فيها شق بطل الرواية طريقه صوب الآخر عازماً على نسيان الماضي والولادة من جديد ما يعني أن حياته قبل يوم سفره لم تكن إلا مأساة تتخبط فيها الذات التي يحاصرها الواقع المرفوض من قبلها الأمر الذي جعل الكاتب يستهل روايته بلحظة تواجد البطل في الباخرة المعادلة للمنفذ الذي سيخلصه من مأساته وعذاباته ضمن جو تغيب عنه تراجيدية الفراق، فراق الوطن خصوصاً الذي يفقد في هذه المرحلة قيمته عن الذات ليضحى اللاتواشج هو عنوان العلاقة بين الذات والوطن ويكون النسيان الخطوة الأولى نحو التحرر لتحقيق الحياة التي يبغيها ذات البطل يقول السارد {وللمرة الأولى منذ بدأ يعي يشعر بقوة هذه الإرادة التي تعصف بوجوده في أن يولد من جديد إنه يريد أن ينسى أحداثه وأصحابه ويضع فتيات عبرن حياته بغموض ليبدأ في أول الطريق إنساناً جديداً يستلهم الحياة بشخصية جديدة صحيح أن الدرب الذي أمامه مظلمة وموحشة ولكنه سيثيقها².

إن الولادة من جديد هو جل ما تصبو إليه الذات، التي كان الهدف الحقيقي وراء رحلتها للآخر هو رفضها لجميع المعوقات الواقفة في طريق تحقيقها لذاتها لاسيما اللذة

¹ - جورج طرابيشي: الأعمال النقدية الكاملة، ص 479 .

² - سهيل إدريس: رواية الحي اللاتيني، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط14، 2006، ص 05 .

الحسية أو بالأحرى الجنسية منها، وما انجر عنها من كبح وكبت فرضته المنظومة الدينية والاجتماعية التي ساهمت إلى جانب الصورة المترسخة عن الآخر كمكان للنعيم بالحرية المفقودة في تعميق انشطار الذات، وتسريع نفاذ الآخر لفكرها ومن ثم الاستحواذ عليها ليغدوها حسا وحلما تفر إليه للإنعتاق أمام كل ما يحول بينها وبين تحقيق الذات، الأمر الذي يجعلها تترقب أول فرصة للانغلاق والتلمص، وهذا ما نجده عند بطل الرواية وأصدقائه وجدير بالذكر أن الذات الفردية حين تخرق القوانين والقواعد أو حتى العادات السائدة يبقى هناك مكان لتأنيب الضمير والتردد والخوف لكن في حالة وجود مساندة من أطراف تنتمي لنسقتها تكتسب الذات شجاعة وجرأة أكبر في إباحة المحظور، ويبدو جليا من خلال السارد {ولولا أن صبحي وعدنان كانا إلى جانبيه لشعر بالخوف والتهيب من أن ينتقل كذلك في أرجاء الحي اللاتيني}¹، وفي موضع آخر {لو أنه كان وحده لقفل خارجا قبل أن تخطو قدمه خطوة ثانية في المقهى ولو كان صبحي وحده... ولو كان عدنان وحده... إنما استمد كل منهم الجرأة على مقاومة الجو الجديد من قريب صاحبه}².

وتمثل رواية "الستينيات" من القرن العشرين مرحلة مؤسسة لكتابة روائية جديدة لا تزال خصائصها سارية المفعول إلى غاية يومنا هذا وذلك لهول الحدث هزيمة العرب 1967 والتي كانت بمثابة رجة عنيفة للحضارة العربية بينها الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وقد طالت هذه الرجة الكتابة الروائية شكلا ومضمونا ولولا ذلك لما استطاعت استيعاب وتصوير تشظي الذات العربية الجريحة، التي أخذ حضورها في الرواية العربية أبعادا كثيرة، عن طريق إثارة الأسئلة الكبرى المتعلقة بالذات، التي تعكس تمزقها وتشرذمها وتختزل ما تعيشه من تعقيد وحيرة حول مصيرها المجهول، وفي خضم هذه التحولات رست صورة الآخر على أنه السلطوي والمعادي {وفي الحقيقة أنه كان لنكبة فلسطين ومأساة

¹ - المرجع السابق: سهيل إدريس، ص 12 .

² - المرجع نفسه، ص 13 .

شعبها في تشكيل صورة الغرب الاستعماري بوصفه العدو التاريخي والمعتدي الظالم في الثقافة السياسية العربية وفي الإنتاج الأدبي والفني وفي الذاكرة الشعبية {¹}. إلى جانب أنها ميزت الرواية العربية بجملة من الخصائص منها: توظيف التراث والميثولوجيات العربية وغيرها ومرد هذا أن المثقف العربي أدرك {بعد حرب حزيران أن العودة إلى الجذور ضرورية، ليس من أجل انغلاق على الذات وتقديس الأجداد وتمجيد الماضي والحنين الرومانسي إلى إعادته بل إلى مسائلة الذات من خلال مسائلة الماضي والوقوف على الخصائص المميزة والهوية الخاصة {²، وكل هذا ساهم في جعل الرواية جنسا منفتحا على الفنون والأجناس الأخرى، فظهر ما يسمى بتداخل الأجناس الذي يعكس رغبة الروائي كذات تمثل المجتمع في تجاوز الواقع بخرق المألوف وعليه {كانت تجربة "رواية الستينيات" وبموجب أسباب نفسية وفكرية قد انساقت لنزعة تجريبية متمردة ورافضة لكل ما في المجتمع {³}.}

وقد امتدت مغامرة الروائي في ارتياد عوالم التجريب حدود اللغة من خلال {استثمار لغة السينما في القطع والمونتاج والحذف، وما إلى ذلك من تقنيات السينما الحديثة {⁴، وعبر كسر خطية الزمن أيضا، وجدير بالذكر أن {لغة السرد في هذه الحقبة لغة شعرية شفافة مبهمة رمزية تطغى عليها، والبحث عن خلاص وسط زحام وركام تركبات ثقيلة {⁵، إنها وباختصار لغة أكثر كثافة، أكثر رمزية، وأكثر إيحائية .

ومما تقدم نستنتج أنه كان للنكسة تداعياتها المباشرة على الذات العربية فالكتابة الروائية ممهدة بذلك للرواية المعاصرة وتجدر بنا الإشارة في هذا السياق إلى أن {ما عرفه العالم العربي خلال نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة من غزو الكويت نشوب حرب

¹ - إبراهيم الدقاق وآخرون: القضية الفلسطينية وتحديات الوجود والهوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص181

² - محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص91 .

³ - ماجد عبد الله القيسي: مستويات اللغة السردية في الرواية العربية، دار غيداء، ص43 .

⁴ - المرجع نفسه، ص45 .

⁵ - المرجع نفسه، ص41 .

الخليج الثانية سقوط بغداد، اندلاع ثورات ما يسمى ب: الربيع العربي، جعل الرواية تدخل مرحلة مختلفة¹، ولكن ليس اختلافاً كلياً عن رواية بعد النكسة إلا من حيث تعميقها للهوة بين الذات الشرق والآخر الغرب بالإضافة إلى غوصها في واقع الذات المتصدع الذي جعل الرواية المعاصرة تتوزع بين { تيمات الوطنية، الاعتقال، السجود... ومقارنة القضايا الاجتماعية والسياسية الراهنة والمتحدثة كالإرهاق، التسامح، الاستعمار الجديد، التطرف الديني، الطائفي، الوطن العربي...².

كما ولا يفوتنا التنويه بالدور الذي أضحت تلعبه العتبات النصية في الرواية المعاصرة حيث تزايد اشتغال الروائيين عليها ليس لإمكاناتها الجمالية فحسب بل لقدرتها على رسم وتشكيل الذات المراد تقديمها للقارئ.

ثالثاً: نماذج في روايات سعيد خطيبي

من المعلوم أن روايات سعيد خطيبي قد ساهمت بشكل كبير في إرساء الكثير من العلاقات، مما أدى إلى توطيدها في مجال الأدب والفكر، حيث نجدها بارزة في بعض رواياته مثل:

– رواية حطب سراييفو:

من الجزائر التي عرفت بأنها بلد المليون شهيد إلى البلقان التي يبدو أنها تشابهت معها في عدد من المآسي والحكايات والمصائر، يأخذنا الروائي الشاب سعيد خطيبي في رحلة قاسية موجعة مع أبطال روايته نتعرف فيها على ما دار ويدور في هذه المنطقة التي تدور فيها أحداث روايته ومن خلال تشابك الحكايات وتقاطعها، والانتقال بين الحاضر والماضي، وبين أماكن مختلفة وشخصيات متعددة يرسم صورة واسعة لتلك المأساة.

تبدأ الرواية بحكايتين منفصلتين الأولى "سليم" الصحفي الجزائري الشاب التي تأتيه الفرصة أخيراً لكي يترك بلاده، بعد أن أغلقت في وجهه كل السبل والثانية على الجهة

¹ - الكبير الداديسي: مسارات الرواية العربية المعاصرة، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط 1 ، 2018، ص 12 .

² - المرجع نفسه، ص 15 .

الأخرى "ايفانا" الفتاة البوسنية التي تبحث عن فرصة لها لتمارس هوايتها في التمثيل والكتابة والمسرح ولكن كل شيء يقف في طريقها، تجمع الرواية المآسي والمصائب المشتركة بين البطلين، ويغوص الكاتب بنا في طبقات من الحكايات التي تصف واقع كل مدينة وشعبها بشكل مفصل.

ينتقل السرد بانسيابية ومن خلال الفصول المتقطعة بين الجزائر العاصمة والبوسنة وبين أحلام ذلك الشاب وآمال وطموحات تلك الفتاة، ومن خلال ذلك يرصد بشكل دقيق وذكي مظاهر التغيرات التي أحدها توالي الحروب والموت الدمار الذي لحق بالبلدين سواء في سراييفو أو الجزائر حتى يبدو ما يحكيه سليم العربي شديد الشبه والتقارب بما تحكيه ايفانا {كل شيء تغير في هذه المدينة المستسلمة لأسياها الجدد أرصفتها الواسعة ضاقت طرقها تتخللها حفر البنايات تخترقها آثار الرصاص سيارات زاستافا اختفت وكذا سيارات اللادا ونابت عنها سيارات جديدة قادمة من ألمانيا وفرنسا وأمريكا وحدها سيارات فيات و سكودا تنبهنا لما مضى و ملابس العابرين في الشارع أو تلك المعروضة في واجهات المحلات ... كان العدو ينكل بنا و نحن ننكل بجذوع الأشجار }¹.

بشكل مفصل و متسلسل يأخذنا الراوي إلى عائلتي البطلين بين الأب الجزائري الذي كان عضوا في حزب التحرير لنلمس تلك التقاطعات التي ربما تشير إلى نقاط إلقاء بين عالميهما ، فيما يبقى الألم و المأساة هو ما يجمع بينهما في النهاية ، و في بلد لا ينتميان إليها و في مكان رغما على الوجود فيه ، تعكس الرواية مع حكاية أبطالها صورة بانورامية عامة لحياة الناس في تلك الفترة الصعبة من تسعينيات القرن الماضي ، حيث ننتقل مع "سليم" و "مليكة" و قصة حبهما الغريبة { باتت سرا يبدو أشبه بامرأة جميلة يملئ وجهها كدمات اختفت منها جنائن زهر مرغريت الصفراء والبيضاء وزاد المشهد كآبة رائحة الموت المنبعثة من تحت التربة، فالقبور في كل مكان ورفات الموت تكتظ تحت أقدامنا }².

¹- سعيد خطيبي: رواية حطب سراييفو، منشورات الضفاف، منشورات الاختلاف، بيروت، ط2، 1440هـ. 2019م، ص25.

²- المرجع نفسه، ص28 .

يبدو وعي الكاتب "سعيد خطيبي" وحرصه على نقل تلك الأفكار الإنسانية العامة حاضرا طوال الرواية، إذ يحرص على توضيح فكرة إن ما يجمع الناس حتى لو كان قاسيا أو مؤلما هو اكبر بكثير مما يفرقهم ، و ربما كانت مفاجئة للكثيرين حديث خطيبي عن مشاركة الجزائريين في حرب البلقان وهو ما يؤكد بهذه الرواية وبدراسته الموسعة التي جرت بين البلدين لتبين هذه الحقيقة، في حوار له على موقع ميم يقول خطيبي { لقد كنت دائما مسكونا بالحرب، التي عشتها صغيرا في الجزائر وفقدت فيها بعضا من أهلي ومعارفي ولكن ليس الاهتمام بالحرب في بشاعتها أو ما دار فيها بل اهتم بحيوات الناس العاديين في الحرب، فبال تقدم في الكتابة كنت أتوقف كعداء يسترجع أنفاسه أحيانا وأنا تحت مفاجأة التشابهات الكبيرة في التاريخ السوسيو الثقافي بين البوسنة والهرسك والجزائر }¹.

- رواية كتاب الخطايا:

تحاول رواية " كتاب الخطايا " مقارنة الوضع العام في الجزائر سوسولوجيا خصوصا مع تلميحات سياسية من خلال التركيز على شخصيتين رئيسيتين " كهينة" الشابة الأمازيغية التي تعيش تمزقا اجتماعيا بسبب هويتها وعلاقتها العاطفية المعقدة، وتوفيق الصحافي الحالم بالهجرة إلى الخارج بحثا عن حياة أفضل.

الرواية قراءة في راهن المجتمع الجزائري من الداخل، وتطرح كثيرا من تناقضات هذا المجتمع، وتسعى لتجاوز بعض الطابوهات، خصوصا في ما يتعلق بالمجتمع الأمازيغي المحلي، والعلاقات بين الرجل والمرأة .

نجد من خلال الرواية البطلة "كهينة" التي تريد حريتها وممارسة رغبتها وفق تصورها إلا أن خطيبها سمير يمثل قيدها الذي يبست من علاقتها معه، فهو منذ أن خطبها من والديها لم يحسم علاقتهم معها، فهو لم يتزوجها ولم يتركها تعيش حياتها كما تريد، ويتضح هذا من خلال هذا المقطع من الرواية { فكرة واحدة ظلت تراود ذهني منذ وقت طويل، وتمنع عني التمتع باللحظات الحميمية مع توفيق هي وجود سمير في حياتي

¹ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 29 .

...أردت منه أن ينتفض أو ينسحب ...¹، فكهينة تعيش علاقة صراع داخلي ضد سمير رغم عدم علمه بذلك، فهو يشكل لها عائقا أمام حريتها ، ويبقى هذا الأمر مكبوتا بداخلها لان "سمير" هو الرجل الوحيد الذي طلب الارتباط بها، وطلب يدها من والديها فلا تستطيع أن تقول له دعني وشأني وتتخلى عنه بهذه السهولة كونها عاشت علاقات في الماضي فاشلة لم تتجح فلا تريد تضييع رجل تقدم لخطبتها رسميا .

تظهر "كهينة" في هذا المقطع مفصولة عن حريتها التي تسمح لها بممارسة رغباتها بسبب خطيبتها، أو بالأحرى طرفها الثاني الذي لم يحسم علاقته بها بعد مدة طويلة من فترة الخطوبة كهينة تواصل البحث عن مخرج يخلصها من القيود التي تقيد حريتها، ويبرز هذا من خلال المقطع التالي: {الرجل الوحيد هو الزوج من فرنسي أو من مهاجر جزائري يحمل الجنسية الفرنسية، أنجب منه أطفالا لأصير مثله فرنسية بجواز احمر اللون ، ثم أتطلق منه لأعيش بحرية ...² ، كهينة بسبب غرائزها ورغباتها المكبوتة التي لا تنتهي، تبقى دائما تتأمل في إيجاد الحل للظفر بحريتها وهذه المرة هو زوجها من رجل يحمل جنسية فرنسية لتحظى بجواز سفر فرنسي، ثم تتجب طفلا للتححر بعدها منه بورقة طلاق وتعيش حريتها. تعطش كهينة للحرية، يتواصل من خلال قولها {أحسد بريجيت ابنة بيار على الحرية التي تتمتع بها، تسكن بمفردها، تعمل وفي نهاية الأسبوع تخرج كما تشاء ومع من تشاء ، لا أحد يسألها أين ذهبت ومع من خرجت}³، فكهينة وصل بها توقها للحرية إلى درجة الغيرة من "بيار" الفرنسي، التي تعمل لديه فهي تعيش حريتها في فرنسا كما تشاء ولا أحد يعترضها على ما تفعله .

فالذات هنا تعيش ضمن نسق اجتماعي ديني يفرض عليها وضعية معينة وهي تتوق لتعيش وضعية أخرى لكن ما يفرضه المجتمع والدين من قيود ويعمل كرادع يحول

¹ - سعيد خطيبي: رواية كتاب الخطايا، منشورات ANEP ، الجزائر، 2013 ، ص 35 - 36 .

² - المرجع السابق: رواية كتاب الخطايا، ص 40 .

³ - المرجع نفسه، ص 55.

بينها وبين ما تتوق إليه لتعيشه، ومن منطلق أن كل ممنوع مرغوب تبدأ معانات الذات مع عالمها الداخلي المتمرد على كل الأطراف والتقاليد والعالم الخارجي الذي يضعها في موقف فيه لزوم للتمرد وفك القيود. ورغم هذه القيود فالذات قامت بفكها بشكل سري غير معلن للمجتمع، فهي تمارس كل رغباتها ونزواتها كما تريد، وكل مرة تتوق إلى المزيد لكنها في كل مرة تشكي من حالاتها ليس لأنها تقوم بهذه التجاوزات ، بل لأنها ترغب القيام بها بشكل معلن حتى لا تضطر لإخفاء ما تقوم به { إن تحرر المرأة لا يتحقق من خلال الحصول الحقوق المدنية فحسب بل كذلك في الحصول على الاستقلالية في الزمان والمكان والحصول على إمكانية التحرر من تبعيات التكاثر نتيجة الجماع"مثل وسائل منع الحمل، والتشريعات المتصلة بالإجهاض" ووجود إمكانية التمتع دون عراقيل خارجية }¹، وهذا ما يبينه المقطع التالي في الرواية { لو كنت موجودة في فرنسا هناك قضية الإجهاض قضية سهلة ، ابنة عمي راضية أخبرتني بأن المرأة لها الحق في الإجهاض }².

إن فكرة الحرية عند المرأة من خلال هذه الرواية تنحصر في البحث عن كل الطرق والوسائل التي تحقق من خلالها غرائزها المكبوتة، والتي تتمثل في ممارستها للجنس بكل حرية، في حين أن فهمها للحرية فهم خاطئ ، فحريتها لا يجب أن تتجاوز الخطوط الحمراء لان مثل هذه الممارسات تعتبر تجاوز للأعراف الدينية والاجتماعية في مجتمعنا المحافظ فالمرأة لم تحقق بعد حريتها في مجالات أخرى أهم، كالحرية في امتلاك زمام أمورها والتصرف في حياتها .

¹ - أدغار موران، إنسانية البشرية الهوية البشرية، تر: هناء صبيحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1 ، 2009 ، ص101- 102 .

² - المرجع السابق، رواية كتاب الخطايا، ص101 .

الفصل الثاني

سؤال الذات من منظور الآخر في
الرواية (أربعون عاما في انتظار إيزابيل)

تمهيد:

تبدو رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" للكاتب الجزائري "سعيد خطيبي" رواية معرفية ما يشد فيها القارئ هو عنوانها الباحث عن شخصية المستشرقة السويسرية ذات الأصول السويسرية إيزابيل ابيرهارت التي ارتحلت إلى الجزائر وماتت بها بعد حياة مثيرة نقلت فيها بين مدن عدة، للرواية عنوان مثير لفضول القارئ كي يتعرف أكثر عن هذه الشخصية الإشكالية وأسرارها التي دفنت أكثرها معها.

أولا: إيزابيل ومرآة الذات

إن "رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل" ليست رواية تاريخية أو رواية سيرة كما توهم البعض من العنوان، وحاول نقدها من هذا المنطلق ولكنها رواية منظور واقعية قامت بتوظيف فني لشخصية "إيزابيل ابيرهارت" في مقارنة إشكاليات ثقافية وإنسانية تتعلق بالعلاقة مع الآخر والتمايز بين الصور النمطية والصور الواقية التي تحكمها التحولات والأحداث، لذلك فأى قراءة للرواية ترتبط بتوقع المتلقي المعرفي هو قراءة مجحفة للنص، لأن اكتشاف تيمات جديدة للنص لا يتوقف على تيمة مفترضة للقارئ أو الناقد من خلال العنوان في حضور اسم الرحالة "إيزابيل ابيرهارت" في عنوان الرواية، فحضورها هو حضور سردي ضمن خطاب وتيمة النص، لأنها تمثل المرجع الأدبي والفني والمنظوري للبطل وبتوظيفه لهذه العلامات التاريخية يسرد منظوره للواقع وإشكالات الثقافية، وهذا في رأي ما استعمله الكاتب "سعيد خطيبي" بأسلوب فني وسردي في روايته يجعل المتلقي في متعة جماليات ذلك التوظيف لي شخصية تاريخية أو الشغف للتعرف واكتشافها واكتشاف نصوصها إذا لم يكن يعرف عنها بما يكفي للوصول إلى هذه الجماليات في الرواية، فيقوم مثل بطل الرواية في انتظاره بشغف إيزابيل ابيرهارت.

1. قراءة في عنوان الرواية: (40 عاما في انتظار إيزابيل)

إن المتأمل في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" للروائي "سعيد خطيبي" يرى أن أهم ما يميز هذا العنوان هو الطول، فهو لم يكشف أو يدقق بل امتد زمنيا وذلك ليحيل

على المدة التي قضاها جوزيف في مدينة بوسعادة رفقة صديقه سليمان، وقد أدركته الشيوخة وتراكت عليه عناصر الخيبة والتشاؤم حيث أنه لم يجد ما يتمسك به من أجل مقاومة شيخوخته وخبية أمله سوى ممارسة الرسم والتفاعل مع ما كتبه المستشرقة "إيزابيل ابيرهارت"، هذا الطول لم يضعه الروائي اعتباطيا بل كان متعددا من أجل استدراج المتلقي وجذبه وإثارة الرغبة فيه من أجل فك هذه الفضاءات المبهمة، فالروائي في عنوانه ووظف عددا إشارة إلى تحديد مدة انتظاره وقد حددها بأربعين وهو لفظ يدل على العقد وله إشارة دينية في كتاب الله وسنة رسوله، فأول ما يتبادر إلى الذهن هو عمر الرسالة المحمدية وبداية نزول الوحي وذلك عمر الرسول صلى الله عليه وسلم أربعين سنة، كذلك جاءت آيات من القرآن الكريم منبهة لما يحيله هذا العدد من دلالات، ومن ذلك ذهاب سيدنا موسى في السنة أربعين ليكلم الناس بما أوصاه الله ويبدأ في نشر رسالته وصيامه أربعين يوما إلى أن سلمه الله من ألواح العهد قوله تعالى { وَادِّ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ } سورة البقرة آية 51.

كذلك نورد قصة تيه بني إسرائيل فمن المعلوم أن بني إسرائيل تاهوا أربعين سنة وقد عرض القرآن الكريم لهذا الموضوع فرسم صورة القرار الإلهي الذي تلقاه موسى عليه السلام بحق أولئك البشر وأنهم سيبيهون أربعين سنة قوله تعالى { قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } سورة المائدة آية 26

وقوله تعالى { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ } سورة الأحقاف آية 15

أما بالنسبة لدلالات العدد أربعون فقد احتوته الرواية بين طياتها في مواضع عديدة، فهي "أربعون عاما" قضاها "جوزيف" في الجزائر وبالتحديد في مدينة "بوسعادة" مع صديقه سليمان وهو حوار دائم مع ما كتبه في هذه السيرة وذلك من خلال قوله { الآن أعتقد أنني لم أفهم الشيء الكبير مما يحدث في هذا البلد فقد عشت فيه أربعين عاما بما يكفي لأفهم

أحشائه وما خلف أحشائه وما أكفي لأدرك ميوله ومزاياته لكن في النهاية وجدت نفسي عاجزا على تفسير ما يدور حولي¹.

وقوله أيضا عن مدى ارتباط هذا العدد بالمدة التي مكثها في الجزائر { فالأربعون عاما التي قضيتها في هذه المدينة لم تتفني في رؤية الأشياء على حقيقتها²، فهذه المدة التي عاشها "جوزيف" في الجزائر قضاها مقتفيا لأثار الرحالة الرومية عاشقة الجزائر "إيزابيل" للبحث عما خفي من سيرتها في قوله {اكتشفت "إيزابيل ايبهرارت" بعد أربعين يوما من قرار ببقائي هنا ثم أكملت قرابة أربعين عاما أخرى أقرأ لها وعنهما وأحاول تخيل حياتها لو عاشت بجنونها وشغفها حتى الأربعين³، كما تعالق هذا العدد المذكور في العنوان بالمتن الروائي مع شخصية الراوي وحياته الشخصية وذلك حين قال { أربعون عاما قضيتها في التسكع في معاركة نفسي وفي البحث عن وجه لي أربعون عاما مرت ونار الانتظار تلتهب قلبي، أربعون هو رقم اللعنات التي لم تفارقني، عشت في عشرية الأربعينيات أصعب أيامي، في الحرب فقدت أمي وأنا في الأربعين وأتلفت عمري أربعين عاما في مدينة تنتكر لي⁴.

كما ارتبط هذا العدد لديه ارتباطا وثيقا بما تطرقنا إليه من دلالات هذا العدد من القرآن الكريم بحيث أورد ما حدث مع الأنبياء في قصته مع هذا العدد وذلك قوله {أربعون يوما قضاها نوح في تأمل الطوافات زدها أربعون عاما في مصاحبة الغرباء ومسح آثار الطوفان بلا فائدة، أربعون يوما تاه فيها الأنبياء في الصحراء، وأنا أربعون عاما عشتها بعدهم في عد حبات الرمل التي غطت حماقاتي، أربعون عاما حكم فيها النبي سليمان أرض الديانات أنا عشت مثلها محكما عليا بالوسواس⁵، هذا ونراه في الصفحات الأخيرة من الرواية يكشف لنا عن قرب رحيله من الجزائر وذلك بعد أربعون سنة من العيش فيها في جو

¹ سعيد خطيبي: رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل، منشورات الضفاف والاختلاف، لبنان، ط1، 2016، ص140

² مرجع نفسه، ص95 .

³ المرجع السابق، ص96 .

⁴ المرجع نفسه، ص97 .

⁵ المرجع نفسه، ص95 .

يملاء الخيبة والهزيمة وفقدان الأمل من البقاء { كتب علي التيه كما كتب علي أنبياء من قبلي، أربعون عاما قضيتها في الجنوب والسنة الجديدة بدأت الآن تلوح لي بمرارة من الشمال¹، هذه هي أهم الإشارات الموجودة في المتن الروائي والمتضمنة لدلالة العدد أربعون فهي أربعة عقود من القرن الماضي تحكي أهم الأحداث السياسية وانعكاساتها على هذه الشخصية المحورية للراوي "جوزيف".

وهذه المدة الطويلة هي إشارة على صبر الروائي على أهمية المنتظر وهي الحالة الذهنية التي يعيشها بطل الرواية والصوت الوحيد فيها، ففي العنوان نجد بأنه قد صرح بانتظاره "إيزابيل" التي تجعل من القارئ، أن المتن الروائي فكرته الأساس تقوم على انتظاره "إيزابيل" وصبره لأجلها لكن عند تصفح المتن الروائي تحدث المفارقة بحيث نجده تطرق لها في مقاطع جزئية فحسب من محتوى الرواية ككل، فبالمجمل ذكرت أحد عشر مرة وهي مجرد علاقة ذهنية للروائي ليس إلا .

أما بالنسبة لحرف الجر "في" فيحمل الدلالة الظرفية الزمانية المتعلقة بالمدة والحدث ولكن قد نتضمن دلالة التعليل، كأن نجيب عن السؤال لماذا مكثت أربعون عاما؟ فيجيب بقوله في "انتظار إيزابيل" هو بذلك يعلل سبب انتظاره، والانتظار هنا مصدر انتظر بمعنى ترقب المجيء والأمل في الرجوع والعودة إلى بلده الأصلي "فرنسا"، لكن يربط الفعل بالزمن المحدد له وهو "أربعون عاما"، نلاحظ التعلق الشديد مع الأمل المتجدد والانتظار لشخص عزيز مفقود من أجل العودة إلى الديار والاستقرار، فهذه المدة التي قضاها تتضمن حال العذاب لاسيما كبر "جوزيف" وشيخوخته إذ يقول { شيخ في السبعين مثلي خاض حربين أحب أناسا وكره آخرين كان يجب أن يكون في مكان يليق بعجزه²، فانتظاره هذا مرتبط بصبره على كل الظروف التي عاشها مع الأمل المتجدد وذلك بقوله { سأصبر قليلا وأتبين

¹ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 151 .

² - المرجع نفسه، ص 17 .

مصيري¹، وعندما حان وقت رحيله من الجزائر صار الانتظار ثقيلًا جدًا وعبئًا أثقل كاهل "جوزيف" وذلك حينما قال { فالانتظار بات أسوء من الفاجعة، أن تعيش مستمرا في فكرة واحدة فهذا سيزيد من ضغط العادي عليك²، أما بالنسبة "إيزابيل" فهو اسم علم أعجمي اشتهرت به ملكتان ملكة عاصرت بلاد الأندلس وأخرى ملكة إنجلترا مؤخرا وإذا ربطنا مفردات العنوان في سياقها وجدنا أن الروائي أعطاها مكان الملكة في قلبه ومدى تعلقه بها وهو ما يؤكد لنا الراوي في قوله في المتن الروائي { أنا لست أعرف تحديدا هل أحببت نصوصها فقط أم أحببتها هي كامرأة³.

إن تسمية اسم "إيزابيل" حضرت كقيمة أساسية في العنوان حتى أن القارئ يتوقع أن ما يحمله المتن الروائي ككل يكون مرتبطا أشد الارتباط بسيرتها وأحداثها من البداية إلى النهاية لكنها جاءت في شكل مقتطفات "إيزابيل عادت بعد أربعين عاما" على أنها اكتملت ذهنيا بالرغم من عدم اكتمال سيرتها واقعا فقد كانت لها عودة على صفحة الغلاف ليس إلا وقد جاءت أغلب المقتطفات التي ذكرت فيها "إيزابيل" وحصرها الراوي في إحدى عشر قصة من محتوى الرواية ككل على غرار القصص الأخرى التي أوردها الراوي منها قصة إقامتها مع "فاطمة" مقدمة "الزاوية الريحانية" وهذا ما يظهر في قول الراوي { هي مدينة منقلبة على محبيها تماما كما فعلت مع إيزابيل التي تدفئ قلبها بلقائها الحميمة مع الشيخة لالة فاطمة⁴، فإيزابيل بذلك هي البطلة الغائبة لأن الشخصية المحورية هي الشخصية "الفرنسية جوزيف".

2. الشخصيات:

تعمل الشخصية الفنية كمحرك أساسي للعمل الروائي، فهي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وأهم أداة يستخدمها الروائي لتصوير الأحداث، وهي اختياره

¹ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 108 .

² - المرجع نفسه، ص 68 .

³ - المرجع نفسه، ص 23 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 112 .

للشخصيات { أي تلعب الشخصية دورا رئيسيا ومهما في تجسيد فكرة الروائي وهي من غير الشك عنصر مؤثر في تسيير أحداث العمل الروائي}¹، ويعتبرها النقاد أساس بناء الرواية وسبب نجاحها، فالشخصية الروائية تستمد أفكارها واتجاهاتها وتقاليدها وصفاتها الجسمية من الواقع التي تعيش فيه وتكون عادة ذات طابع مميز في الأنماط البشرية التقليدية، التي نراها في حياتنا اليومية².

وتعد الشخصية عنصرا محوريا في كل سرد، حيث لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات، ومن ثم كان التشخيص هو محور التجربة الروائية، ومع ذلك يواجه البحث في موضوع الشخصية صعوبات متعددة.

❖ شخصية جوزيف وإيزابيل:

إن تيمات "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" في هذا النص السردى تدور حول شخصية "جوزيف رينشار" ذلك الفرنسي الذي قدم إلى الجزائر منذ 1951، ويعيش فيها إلى ما بعد الاستقلال، إلى تسعينيات من القرن الماضي، فيعيش بهويتين، هوية الفرنسي وهوية الجزائري كما يقول: { أعيش بهويتين، بوجهين، الأول لفرنسي قروي قديم خاض حربا عالمية والوجه الثاني لجزائري دخيل شارك في حرب تحريرية}³.

فمن خلال شخصية "جوزيف" تقارب الرواية إشكالية المنظور بين الأنا والآخر والعلاقة المركبة بينهما والتي تشير القلق والحيرة والازدواجية حتى اكتشف شخصية "إيزابيل" وكأنه اكتشف نفسه واكتشف روح التوازن والانسجام في شخصيته { أربعون عاما قضيتها في التسكع في معاركة نفسي، وفي البحث عن وجهي لي، أربعون عاما مرت ونار الانتظار تلتهم قلبي ببطء اكتشفت "إيزابيل إيبهارت" بعد أربعين يوما من قراري بالبقاء هنا، ثم أكملت أربعين عاما أخرى أقرأ لها وعنها وأحاول تخيل حياتها لو عاشت بجنونها وشغفها حتى

¹ - نصر الدين محمد: الشخصية في العمل الروائي، مجلة فيصل، ع37، جوان 1980، السعودية .

² - عبد الفتاح عثمان: بناء الرواية، مكتبة الشباب، مصر، ط1، 1982، ص121 .

³ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص...

الأربعين¹، فألهمه ذلك عشق شخصيتها وعشق نصوصها، وكما استلهم منها شغفها بالحياة، استلهم منها منظورها النقدي للظواهر والتحويلات دون صور نمطية أو عنصرية. ومن خلال هذا العشق والتشابه في الشخصية بين "جوزيف" و"إيزابيل" اكتشف ذاته من جديد عند العمل على نقل نصوصها في لوحاته الفنية ومع أول مخطوط في بيت مصطفى² الموظف السابق في البلدية، قايسه إياه مقابل مروحية كهربائية ثم أعدت ترتيب أوراق المخطوط الذي سهت عنه المطابع دققته ثم قمت بتحويل ستة فصول منه إلى ستة لوحات تشكيلية³، وهي التي قضت نجبها في فيضان العين الصفراء سنة 1904 وتركت أوراقها الأخيرة تحت الأنقاض، وهذا التعلق بالرسم هو الوجه الآخر لاكتشاف الرسام "نصر الدين دينيه" وكان "سعيد خطيبي" من خلال البطل الراوي وهو يعترض في منظوره على التصوير النمطي للأنا من الآخر في لوحات نصر الدين دينيه عن مجتمع بوسعادة كنموذج للمجتمع والفضاء الجزائري، فهو مع ذلك يقدم منظوره النقدي بصورة صادمة من خلال منظور التحويلات والأحداث التي طرأت على المجتمع في دولة الاستقلال.

يرى كل شيء فيها ينهار، كما تنهار جماليات بوسعادة التي وصفتها "إيزابيل ابيرهارت" بالملكة الشقراء التي تستلقي بعشق، بين المنحدرات والشلالات وحدائق أشجار اللوز العطرة التي تذرف قطرات ندى الربيع { كل شيء ينهار أمام عيني، كقلعة من رمل، جسدي وذاكرتي وبنيات هذه المدينة المنطوية على نفسها صرت أشعر بغربة لما أمشي في شوارعها الضيقة³، وهو يرى تلاشي تلك الجماليات في الأمكنة والمجتمع التي وصفتها الأدبية في نصوصها، والتي من خلالها اكتشف جوزيف نفسه وتوازنه ولكنه عاد لقلقه وتساؤلاته مع توالي الأحداث والتحويلات { لو عادت "إيزابيل" إلى بوسعادة اليوم لكتبت شيئا مختلفا في هذه المدينة صارت ملكة صهباء منتهكة الشرف، تنام على حافة الوادي كي لا

¹ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص

² - المرجع نفسه، ص 14 .

³ - المرجع نفسه، ص 120 .

تنظر إلى نفسها، ولا ينظر إليها المارون، أشجار اللوز فيها يبست أوراقها وسلبت منها عطرها¹.

3. أسئلة الذات في الرواية الجزائرية

تبقى أسئلة المنظور معلقة بين التعصب والتسامح كما يبقى الصراع بينهما متواصلا مع الأمل في بقاء آفاق التسامح في التعامل مع الآخر مفتوحا كما بقيت الأسئلة مفتوحة عند بطل الرواية أرادها "سعيد خطيبي" في نهاية الرواية { قد يرحمونني بتهمة الاستشراق ويلصقون علي ويتبولون على بعض من لوحاتي...²، وقد تساءلت "إيزابيل" عن كتاباتها هل ستضيع في ربح الجنوب؟، أم يقرأ أحد كلماتها يوما؟، وكم أولئك الذين ستصلهم وسيتعرفون على بلداتها الصحراوية؟، فيستمتعون مثلها بألوان السطوح وفساتين الشمس عند الغروب ومشاهدة العابرين والتائهين في الصحراء.

ومن هنا نلاحظ بعض المقاربات وأوجه التشابه بين شخصيات هذه الرواية:

• جوزيف - سليمان:

{سأرسم لوحتين أخيرتين ليوميات "إيزابيل اببرهارت" أردمهما في حديقة البيت بين الكرمة وشجرة الليمون وسأفعل الشيء نفسه مع اللوحات الثلاثة عشر الأخرى، وأبتلع كالعادة كلمات سليمان الصاخبة ولعناته، أديت مناسك الحج رفقة سليمان في رحلة برية مضنية³.
{ سليمان لاخيار له سوى الارتكان إلى صفي وقبول القرار والخضوع لمنطق الأسياد الجدد سيجد نفسه لا محالة في الشارع فالفرنكات القليلة التي يتلقاها منحة التقاعد عن سنوات الخدمة في فرنسا لا تكفي حتى لمصروف نصف شهر ولا معيل له غيري⁴.

¹ - المرجع السابق سعيد خطيبي، ص 122 .

² - المرجع نفسه، ص 11

³ - المرجع نفسه، ص 12.11 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 13 .

الخوف يحتم علي الكتابة، تدوين حياتي بسرعة لعلني أنسى أو أخفف على نفسي حدة القلق من المستقبل القريب لم أفكر قبلا في الكتابة فقد وهبت عمري بعد الحرب للحفاظ على علاقة سليمان وتربية القطط والرسم ورمي اللوحات في سلة المهملات. سليمان لم تعجبه فكرت مخطوط قديم إلى لوحات لم يرى في حياة تلك الكاتبة المسترجلة شيئا مهما أو ربما أن ترجمتي لنصوصها شفويا له لم تكن صائبة، فهو لم يفهم سوى القليل من الفرنسية وكذا الحد الأدنى من اللغة العربية، لا يحفظ سوى صغار الصور بالصلوات الخمس، يتحدث ويكتب بالعامية، يرتجل أحيانا شعرا شعبيا، ويسرد عليا بطولات شخصيات أسطورية من الصحراء أو من الجبل "كالجن الطيب" أو "الحصان المجنح"، ويطلب مني أن أرسمها ولكنني أعتذر منه، لم أجدها يوما شخصيات ملهمة هي تؤنث أساطير تتشابه فيما بينها كما لو أن مؤلفها واحد ابتدعت للتسلية ولتمضية الوقت وليس للموعظة أو الحكمة.

{ حكاياتك ينقصها الملح أقول له

ربي يهديك خير الكلام هو كلام أجدادنا يرد¹.

سليمان يصغرنى بعامين كان يقول عنه المنور شيخ الزاوية الريحانية { إنه صمت مدو يسكنه شخصان ولم يفلح في التفريق بينهما استمع إلى سكوته يا جوزيف ولا تجادله} حاله لا يختلف عن حالي مضطرب وقلق، لكنه يخفي قلقه بتكرار الحديث عن نيته بإعادة صبغ البيت بالأبيض، استعدادا لرمضان وللربيع القادمين ورغبته في تغيير الباب الخارجي الخشبي بأخر من حديد أغلب الظن أننا سنحتفل برمضان وربيع هذا العام بعيدا عن حارتنا وجيراننا وقطنتنا، ينبأ بأن الأيام الآتية ستنتهي على خير، الدار يقوموا بيها ماليها قال لي.

{ هو يعتقد دائما أنني مقصر في الاهتمام بالبيت لا أقوم بواجباتي كما ينبغي وأن

الحيطان يجب صبغها مرة كل عام².

¹ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 15 .

² - المرجع نفسه، ص 16 .

قبل خمسة أشهر أجريت عملية لإزالة الماء الأبيض من عيني في المستشفى الوحيد في المدينة ولم أجد شخصا آخر يقف بجانبني ما عدا سليمان الذي كان يجلس على طرف سريري، يميل بجذع جسمه الطويل يشد على يدي ويكرر: {شدة وتفوت! ... طهورا يا لعميرة - الله يخليك ليا - ، هو كل ما أملك هو أهلي وعائلتي سبب خصوماتي}¹.

{ لم يستطع أحد اكتشاف هويتي الحقيقية (...). سليمان يحسدني عليها ربما تمنى أن يحظى بوحدة منها على الأقل ليسكت الألسن الطويلة التي تشكك في دوره إبان الحرب العالمية الثانية}².

{ أشياء قليلة كانت تفرض علي البقاء فيها وأشياء (...). فقد سبق أن فكرت مع سليمان في مشروع وكالة سياحية في الجزائر...}³

{سليمان لم يكن يروقه رؤية قنينة خمر في الغرفة أو في المطبخ، في البدأ كان ينصحني بالتوقف عن الشرب}⁴، خاطبني سليمان مرة الدين في القلوب والقلوب ماتت.

{ راودتني فكرة العودة إلى البيت (...).ولكني خفت أن أخيب ظن سليمان الذي أوكل لي مهمة أن أسلم الشيخ بعض زيت الزيتون}⁵

{ وحين يحدثني سليمان عن أمه زليخة التي عاشت حياتا خاضعة وشاقة مع والده بلخير والتي كانت تحمله على ظهرها صغيرا وتركبه معها على البغل لما تذهب إلى السوق الأسبوعية}⁶.

• جوزيف ومباركة:

{أمسكت الجريدة بيدي اليسرى ونصف رغيف خبز بيدي اليمنى وكررت سؤالي على

عبد الهادي شحال تبيعني لوحة مبروكة

¹ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 18 .

² - المرجع نفسه، ص 21 .

³ - المرجع نفسه، ص 22 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 23 .

⁵ - المرجع نفسه، ص 64 .

⁶ - المرجع نفسه، ص 78 .

مرة أخرى رد علي ليست للبيع يا الحاج¹.

شعرت بأنني سرت ثقيل الظل معه، لكن لا ضرر من المحاولة فمن غير المعقول أن أغادر هذه المدينة المغترة بنفسها من دون تذكاري يعيدني كلما اشتقت إليها في ضاحية باريس البعيدة ولا شيء يغريني لأحمله في متاعي، وفي حقائبي التي ستكون ثقيلة بلا شك أكثر من لوحة "مبروكة" بورترتي تلك الدرويشة الثلاثينية السمراء ذات العينين البنيتين الكبيرتين، والشعر المنكوش، التي تمطر السماء على يديها كما يعتقد البعض وتقبض بسببها، التي حبلت من مخنل آخر يشبهها يدعى العقلي كان حين يمل من التسول والتسكع في الطرقات والحارات، يضاجعها خلف مزبلة السوق المغطاة غير مبالي بفضول المارة وعيونهم المتلصصة، الذين كانوا أحيانا يغطونها ببطانية أو بستائر بالية سترا لحميميتها ولتجنيبها أعين الصغار، حبلت منه وأنجبت طفلا اختف في شهره الأول لم تحزن عليه كثيرا، ولم يعرف أحد هل اختطف أم مات أم ماذا حصل له، وواصلت هي سيرتها في التسكع والتسول مثل العقلي والضحك بلا سبب مع الباعة وزبائن السوق المغطاة ورسمها صديقي عبد الهادي وأجاد رسمها.

{ لست أعرف سبب إصراري على تلك اللوحة بالذات ربما لشعور دفين بالقرب منها ومن شخصيتها التي تمثل وجهها من وجوه المدينة، ربما أنا أيضا كنت درويشا مثلها من دون علم مني، لكنني اعرف أنني لن أجد أفضل منها ولن أجد أفضل من لوحات عبد الهادي عموما في بوسعادة².

{ تذكرت أنني نسيت كل هذا وتحسرت أنني لم أحمل معي لوحة مبروكة التي رسمها عبد الهادي والتي تمنيت أن أنقلها معي لتؤنسني في غررتي لكن الطريق كان يتمدد أمامي...³.

¹ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 100 .

² - المرجع نفسه، ص 114.115.

³ - المرجع نفسه، ص 151 .

• إيزابيل وفاطمة:

في الحافلة على طريق العودة، ظلت عبارة الشيخ (البلاد تمشي كشاة عمياء) ترن في أذني لدقائق، ثم تخيلت كيف عاشت "إيزابيل ايبهرارت" في تلك الزاوية اثنا عشر يوما بلياليتها، دون أن تمل أو تشعر فيها بغربة في ذلك الوقت، كانت ترأس مشيخة الزاوية امرأة مسترجلة مثلها اسمها "فاطمة" وينادونها "لالة فاطمة" هي ابنة عم الجد الثاني للشيخ المنور كانت امرأة قصيرة القامة، قوية الشخصية، بوجه مسمر، بيدين تملأها أوشام من الحناء، قليلة الجمال، وصدامية الطباع، لم تتزوج أبدا في حياتها وكانت تمارس السيادة على مقربين منها، خصوصا أبناء عمومتها الذين كانت علاقتهم بها جد متوترة كانت ترفض التصالح معهم. وارتبطت في حياتها بقطط وكلب صيد أسود كانت تسميه "التراس". وبحب عابر لم يكتمل مع "إيزابيل" التي بقيت طويلا تتراسل معها، تكتب لها في كل واحدة من رسائلها لها شذرات من حياتها اليومية، من معاركها وخصوماتها ومحن العيش التي تواجهها، وتعدّها إيزابيل من جهتها في رسائلها بالعودة إليها والعيش إلى جانبها ومساعدتها في التخلص من أبناء عمومتها، الذين حاولوا الإساءة إليها وتشويه سمعتها أمام مريدي الزاوية، وشيطنة صورتها بإطلاق شائعات عنها، والقول بأن جني يسكنها وأنها لا تصلح بأن تؤم النساء ولا يحق لها الحكم وإبداء الرأي في مجالس الرجال، لكن رسائلها ظلت وعودا لا أكثر وجاء ملك الموت واختطف روح لالة فاطمة وهي في أواسط الثلاثينيات من العمر ليفرق بينهما

كانت "لالة فاطمة" و"إيزابيل ايبهرارت" امرأتين موعودتين بحب صادق وشقي،

وبوطن مثقل بالخبت والخيانات لكنهما ماتتا قبل الأوان.

ثانيا: سؤال الهوية من خلال تيمة الاغتراب

1 - سؤال الهوية:

تعددت المجالات المعرفية التي يستخدم ويوظف فيها مصطلح الهوية "Lidentité" لذلك فإنه من الصعب تحديده بدقة يقول في ذلك " أمين معلوف" في بداية كتابه الهويات القائلة { علمتي حياة الكتابة أن احذر الكلمات، فتلك التي تبدو أكثرها شفافية هي في أغلب

الأحيان أكثرها خيانة، أحد هؤلاء الأصدقاء المزيفين هو بالتحديد كلمة "هوية"، فجميعنا نعتقد معرفة ما تعنيه الكلمة هذه الكلمة ونستمر بالثقة بها، حتى عندما تبدأ هي بقول العكس بمكر¹، فعلى اعتبار أن الهوية موضوع معقد ومشارك مع مختلف العلوم والثقافات، فإنه من الصعب تحديده بدقة، يعرفها المفكر الفرنسي "أليكس ميكشيليلي" بأنها: {مركب من المعايير الذي يسمح بتعريف موضوع أو شعور داخلي ما، وينطوي الشعور بالهوية على مجموعة من المشاعر المختلفة، كالشعور بالوحدة والتكامل والانتماء والقيمة والاستقلال والشعور بالثقة المبني على أساس من إرادة الوجود²}.
فالهوية هي معيار أساس في التعريف بمعالم الشخصية الإنسانية، إذ يحدد وجودها واستقلاليتها كذات فردية لها إحساس بفرديتها ولها شعور بالانتماء إلى جماعتها، إن مفهوم الهوية يشير إلى جملة الصفات الجسدية الظاهرة في الإنسان التي تميزه عن غيره.

تعد الهوية واحدة من التيمات البارزة في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة إذ تأتي منسجمة مع العوالم الروائية الرامية إلى الغوص في جوهر الأشياء، ولعل نص "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" "لسعيد خطيبي" من أبرز النصوص الروائية العربية التي انخرطت في تمثيل علاقة الأنا بالآخر وتشكيل الهوية أو ما يسمى بالرواية الحضارية إلا أن الذي يحسب للرواية هو أن اللقاء يتم داخل فضاء الأنا متمثلا في الجزائر "مدينة بوسعادة" بعد الاستقلال وهذا يقودنا إلى إدراجها ضمن الروايات ما بعد الكولونيالية.

لقد سعى سعيد خطيبي إلى طرح مسألة الهوية وعلاقة الأنا بالآخر على النحو التالي: من هو جوزيف؟ هل هو عربي أم فرنسي؟ مسلم أم مسيحي؟ أم كل هذه السمات مجتمعة؟ ما العلاقة التي تربطه بالمجتمع الجزائري، هل هي علاقة اتصال أم انفصال؟ أم هما معا؟

¹ - أمين معلوف: الهويات القاتلة، "قراءات في الانتماء والعولمة"، تر: نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص 13 - 14 .

² - أليكس ميكشيليلي: الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم، دمشق، 1995، ص 15 .

أ - تمثيلات الهوية :

استطاعت رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" أن تشكل للقارئ فسيفساء نصية تتشابه فيها جملة من الإيديولوجيات، التي تمر عبر شخصيات الرواية في فضاءات اجتماعية تزخر بالعديد من الدلالات، فالرسالة التي يود الكاتب سعيد خطيبي نقلها، هي الواقع الفعلي وأزمة الإنسان، وكان القالب الروائي لسانه ناطق، وفي هذا الصدد سنطرح أبعاد الهوية من خلال : الهوية الدينية والهوية الثقافية.

• الهوية الدينية:

يعد الدين سمة متأصلة في النفس البشرية، مثلها مثل باقي الغرائز، ولا يمكن التعامل معه إلا وفق هذه النظرة، وبذلك يكون له أثر مهم في النفس البشرية نظرا للفترات الطويلة التي ارتبط فيها التفكير الإنساني بالدين، { فهو نزعة أصيلة ملازمة للناس جميعا }¹. تقوم علاقة الإسلام بالديانات الأخرى كالمسيحية على المغايرة وليس الضدية، وهذه العلاقة شكلت فهما خاطئا في نظر "جوزيف رينشار" بطل الرواية لأنه لم يفهم الإسلام على حقيقته، مما جعله لا يميل إلى دين واحد ميلا كاملا، فهو يراوح مكانة أو حالة تشبه المنزلة بين المنزلتين، حيث ألفيناه تارة بيدي حبه وإعجابه بالإسلام واللغة العربية في قوله: { حينها سأستغل الفرصة وأعرض عليها ما تعلمته من لغة العرب، أرتل أمامها بعضا من صغار السور: قل أعوذ برب الناس ... قل هو الله أحد... ولإيلاف قريش... ، وسورة الأعلى التي أحفظها عن ظهر قلب }²، يضاف إلى ذلك ترديده في الكثير من الأحيان بعض الأدعية كقوله { ورحمت أردد مع المشيعين يا الله يا رحمان يا رحيم يا الله ...أغفر لنا وله برحمتك

¹ - محمد الزحيلي: وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1991 ، ص 32 .

² - سعيد الخطيبي: أربعون عاما في إنتظار إيزابيل، ص 31 .

يا الله¹، وقوله أيضا { خرجت من الزاوية، وأنا أستغفر الله وأسبح بحمده²، { طويت الورقة، استغفرت الله³.

حاول "جوزيف" بتريده هذه الأدعية أن يغرّس في نفسه شعورا، بالولاء والانتماء للدين الإسلامي، وأن يكون فردا مشاركا في شؤون المجتمع، فقد تخلّى عن مقومات دينه وعاداته، حيث صرح قائلا { وامتنت منذ أربعين عاما عن الاحتفال بعيد القديسين في الفاتح من كل شهر نوفمبر، وتفاضيت عن عيد الفصح، وعيد الصعود وعيد الخمسين، وانتقال العذراء، وكل المناسبات الكاثوليكية الأخرى، التي ورثتها من أمي ومن طفولتي في فرنسا، تنازلت عنها⁴.

إن هذا التصريح يضعنا أمام شخصية روائية متميزة، استطاعت أن تتسلخ من أحد مقومات هويتها وهو الدين المسيحي، وتتنازل عن شعائرها الدينية التي شجعت بها منذ الصغر، لتشكل لنفسها هوية جديدة تحقق لها اطمئنانا نفسيا وإحساسا بالذات في ظل قيم جديدة يملئها عليها المجتمع الذي تعيش فيه.

غير أنه في موضع آخر من الرواية تتمظهر لنا صورة "جوزيف" المعادي للإسلام بطريقة مغايرة عن سابقتها، إذ أبدى تذمره واستهزاءه به يقول { ... مع ذلك لم يحصل أن وقع لي مكروه بسببها، لم يحصل أن أصبت بإسهال ولا بغثيان ولا بعسر هضم، كما لم يسبق لي أن اتكلت على نصيحة سليمان: " قبل أن تأكل أذكر اسم الله ! ... لا حول لي بها ولا قوة⁵، ويضيف قائلا { ... ولا أقول بسم الله قبل الشروع في الأكل ولا الحمد لله عند الانتهاء منه⁶.

¹ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 101 .

² - المرجع نفسه، ص 72 .

³ - المرجع نفسه، ص 105 .

⁴ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 131 .

⁵ - المرجع نفسه، ص 109 .

⁶ - المرجع نفسه، ص 109 .

وعن صوت الأذان يقول { صوت أذان الفجر وصلني خافتا متذبذبا ورخوا، يحث على الكسل، لا على الاستيقاظ... }¹

بهذه الشهادة التي يرصدها لنا "جوزيف" عن نفسه، يتبين لنا ذلك التأثير الذي يتركه الدين الأصل في وعي الفرد وتشكيل شخصيته، زمن ثم يكون الرجوع القوي إليه محاولة لتحقيق التوازن النفسي، "فجوزيف" كان يرجع إلى دينه المسيحي كلما انتابه شعور بالألم نتيجة إحساسه بالغرابة في هذا الوطن وبين أهالي بوسعادة، { فالألم إحساس يحاصر الأنا ويدفعها إلى محاولة التخلص منه عبر عدة طرق، وقد يكون البوح والكلام إحدى هذه الطرق فالإحساسات المؤلمة تنزع نحو التغيير والتفريغ، وهذا هو السبب الذي من أجله نفس الألم على أنه يتضمن ازدياد شحنة الطاقة النفسية بتصرف الدافع المكبوت، فهو يبدي قوة دافعة بدون أن يلاحظ الأنا ما في ذلك من التزام }²، اللافت أن جوزيف يحن إلى ماضيه المسيحي، فيزور الكنيسة أحيانا ليحيي ذكريات قتلها المدينة يقول: { أنا الكائن الوحيد، الذي يزور من حين لآخر الكنيسة المتوحدة، الباردة والصامدة وسط المدينة، التي تستमित في مكانها منذ قرن ونصف القرن، أزورها بحب أرملة مخلصنة لزوجها، أحمل إليها شموعا وأوقدها بنفسي، أنفض الغبار على الكراسي الخشبية وعلى الصليب وأصلي }³، ويضيف قائلا: { أصلي صلوات سريعة وقلقة، أدعو الرب أن يجنبي أنا وسليمان كل مكروه، ثم أرسم إشارة الصليب أخرج مهرولا }⁴.

لقد كانت الكنيسة بالنسبة "لجوزيف" عنوان ماضيه وهويته، فهي بمثابة الشعلة الكبرى التي توهج ذاكرته التي طمستها غربته في هذا الوطن، فكانت هذه الغربة كعزلة

¹ - المرجع نفسه، ص 20 .

² - سيغموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط4، 1982، ص 138 .

³ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 52 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 52 .

هذه الكنيسة في مدينة بوسعادة يقول {في الماضي كانت تصل المتعبدين من المسيحيين، على قلتهم، أطباق من الأكلات الشعبية إلى الكنيسة.. لا أحد يبادلنا الهدايا ولا حتى التحية}¹ تتبدى لنا شخصية "جوزيف" شخصية بالغت التركيب والتعقيد، حيث نجد أنفسنا أمام شخصية روائية تمتزج فيها مجموعة من الديانات، فبين دين يبدو متأصلا فيه، وهي العقيدة النصرانية، وبين الديانات الإسلامية، التي يجهلها أو يتعمد جهلها، { سوف أصوم يوما أو بعض يوم كما كنت أفعل دائما، وأحتفل وقت الغروب ساعة الإفطار بمأدبة أكل مع سليمان}²، ويقول أيضا { فشلت في الصيام كما لا يليق بمسلم حافظ لحزب من القران، حاج لبيت الله، ومواظب على صلاة الجمعة، وفشلت في إقناع نفسي بالعمرة في رمضان، وأداء الصلاة في المسجد الحرم ليلة السابع والعشرين، التي يعتقد أنها ليلة القدر }³، فإسلام "جوزيف" لم يكن على قناعة تامة، قد بدا أنه شخصية مسيحية متأصلة، إذ يحاول أن يظهر إسلامه ويخفي نصرانيته حتى يتمكن من الانخراط في المجتمع الجزائري ويكسب حبه، { كنت أتعامل معهم كما لو أنني كنت مسلما مطيعا لقواعد الإسلام الخمس، ملتزما بالركن الرابع من الدين }⁴، باعتبار أن الدين يقوم بمهمة الربط بين الجماعات وتعزيز اللحمة الأخلاقية، التي تضمن للفرد التكيف والاندماج والاستقرار النفسي.

• الهوية الثقافية:

إن الهوية الثقافية هي { سائر الخصائص والمميزات والمكونات الفكرية والاجتماعية والتاريخية التي تنفرد بها ثقافة ما، تمتلكها جماعة بشرية ما، تتميز به هذه الثقافة عن غيرها

¹ - المرجع نفسه، ص 53 .

² - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 128 .

³ - المرجع نفسه، ص 130 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 129 .

من الثقافات الأخرى، وتحدد ماهية الجماعة البشرية وتميزها عن غيرها من الجماعات البشرية الأخرى¹.

تجمع الهوية الثقافية إذن كل ما هو مشترك بين أفراد المجموعة، والانتماء لثقافة يعبر بالانتساب لقيم ومعايير هذه الثقافة.

يطرح "سعيد خطيبي" في الرواية قضية الهوية الثقافية التي عاشها جوزيف في مدينة بوسعادة، مبرزا جميع المظاهر والعادات والأعراف في المجتمع الجزائري، { على بعد حوالي مائتي متر من مقبرة الإباضيين، في حي الأقواس دائما، توجد مقبرة السنة، التي تنزل إليها كل يوم اثنين... وبعضهن الآخر ينبش خفية في قبر لدس أغراض حميمة أو قصاصات ورق كتب عليها أدعية أو كلام آخر... }².

تتبدى هذه الممارسات التي تعارف عليها أفراد المجتمع وتمثل وجها من أوجه ثقافة المجتمع، إذ تنتظر خلالها ملامح الخصوصية، { فكل مجتمع يفرز نظام المعتقدات والقيم الذي يلبي مطالبه، ويتواءم مع نمطه الاجتماعي السائد }³، لقد كان "جوزيف" يرصد سلوكيات المجتمع الجزائري، وينتبه إلى أدق تفصيلها، ويعود ذلك إلى اختلاف ثقافة عن ثقافة أهالي بوسعادة، لذلك نراه أحيانا يتقبل بعض هذه السلوكيات وينتقدها أحيانا أخرى، { في المرة الوحيدة التي دقت فيها سعاد باب بيتنا، جاءت ذات ظهيرة لتطلب من سليمان ليمونا... ومرات يطلبون أوان لاستخدامها لما ينزل ضيف عندهم ثم يعيدونها لنا }⁴، فمثل هذه العادات كانت تثير غضب "جوزيف"، الذي يراها عادات تطفلية ومستفزة، لكن عيشه في هذه المدينة يستوجب عليه التعود والتأقلم عليها وتشكل الألعاب التقليدية وجها من أوجه الهوية الثقافية، إذ تشكل مناسبة لالتقاء السكان فيما بينهم، يقول جوزيف: { كانت تجمعنا

¹ بوبكر جيلالي: اللغة والهوية والعولمة، معركة المفاهيم، ضمن كتاب السؤال عن الهوية في التأسيس... والنقد... والمستقبل، ص 174 .

² - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 57 .

³ - نبيل علي: منظومة القيم والمعتقدات، منظور عربي معلوماتي، الثقافة العربية وعصر المعلومات (سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير، 2001، ع 265، ص 446 - 447 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 75 .

جلسات لعبة السيق التقليدية التي تلعب بأعواد القص، في أرصفة الحي، برفقة جيران لنا، بعضهم رحل للدار الأخرى وبعضهم للدار ينتظر، نتحدث أثنائها في كل شيء، وفي السياسة والمجتمع، في الماضي وفي الحاضر، وفي النسوة التي كن يعبرن الشارع أمامنا...¹.

فقد استطاعت هذه اللعبة التقليدية أن تكيف عقلية جوزيف مع عقلية جيرانه على الرغم من اختلافها، وتجعله يشعر بأنه فرد من الجماعة ومن هذا الموروث الثقافي. يشكل التراث بمفهومه العام واحدا من أبرز تجليات الهوية الثقافية، والتراث هنا يشمل الفنون المادية والفكرية والقولية، كما أوضح ذلك "محمد رياض وكار" حين عرفه: {الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغوي والغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب}².

ومن بين عناصر التراث القولية الموظفة في الرواية نجد اللهجة العامية، وما تحمله من مخزون ثقافي مهم، حيث جاء توظيف اللهجة الشعبية الجزائرية بشكل بارز على لسان شخصيات الرواية مثل شخصية "سليمان" و"جوزيف"، اللذان كانا يتبادلان الحوار باللهجة الجزائرية: { - واش يقولوا علينا الناس؟ تساعل بنرفزة.

- ما فيها حتى عيب، المرأة حابة تخدم على شرها.

- راح يتمم كلمات لم أفهمها، معبرا على عدم رضاه، وأضاف:

- أنت تحب تجيب العيب وكلام الجيران}³.

ونجد "جوزيف" في حوار آخر مع "مليكة" بالعامية :

{ - واش راك عمي الحاج؟

- بخير يا بنتي.

¹ - المرجع السابق، ص 97 .

² - محمد رياض وتار: توظيف التراث الشعبي في الرواية العربية المعاصرة، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2002، ص 21 .

³ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 38 .

- واش راه عمي سليمان .

- لا باس عليه .

- خفضت رأسها وقلت لها:

- سلمى على باباك بنتي

- يبلغ نشاء الله ... تهلى في روحك الحاج، باي باي¹.

لقد كان اختيار اللهجة العامية على لسان جوزيف أو الحاج جوزيف كما يسميه سكان بوسعادة اختيارا موقفا من طرف الكاتب، ويرجع ذلك لاعتبارات من بينها محاولة إبراز بعض ملامح الهوية الجزائرية لدى بطل الرواية ومحاولة إكساب هوية شخصية من خلال ما يحمله من قيم ثقافية مستمدة من ثقافة المجتمع الجزائري.

ويأتي المثل الشعبي بوصفه جملة قصيرة تختزن التجربة الإنسانية الشعبية، وتخترق حدود الزمان والمكان، وهذا من خصائصه الأصلية التي تجعله لا يختص بزمن معين، وجاءت عملية توظيف الأمثال الشعبية في الرواية عبر محطات متفرقة، إذ يقول الراهب "برنار" مخاطبا "جوزيف" بقول { اللي ما هام ما عام ما يعرف قداش نهار في العام }².

ويقول "جوزيف": { أردد في سردي المثل الشعبي: عاش ما كسب، مات ما خلى }³,

كما يقول سليمان { لي خلق ما ضيع }⁴ ويقول أيضا { اللي فات مات }⁵.

يشير المثل الشعبي في دلالاته إلى أصالة الشعوب وعمق هويتها، فهو الوعاء الذي يحفظ تجاربها ويخصب ذاكرتها { حيث يصاغ انطلاقا من تجارب وخبرات عميقة، يحمل

¹ - المرجع نفسه، ص 40 .

² - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 35 .

³ - المرجع نفسه، ص 103 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 106 .

⁵ - المرجع نفسه، ص 156 .

الفصل الثاني سؤال الذات من منظور الآخر في الرواية (أربعون عاما في انتظار إيزابيل)

تراث أجيال متلاحقة، يتناقلها الناس شفاهة أو كتابة، تعمل على توحيد الطبائع والعادات لذلك يعده البعض حكمة الشعوب وينبوعها الذي لا ينبض¹.

وتتكئ الرواية على رافد ثقافي آخر وهو "اللباس"، الذي يرتبط في شكله وحجمه ولونه و طريقة ارتدائه بثقافة معينة، حيث كانت نساء بوسعادة "ملحفة بيضاء" التي كانت تمثل بالنسبة لهن رمز الأصالة والحشمة، يقول "جوزيف" واصفا "زويينة": {تأتي دائما إلى البيت مرتدية جلابة زرقاء، باهتة و طويلة ... وخمار أسود و أبيض، يغطي شعرها، ووقها تلبس ملحفة بيضاء تغطي كامل جسدها، لا شيء يظهر من مفاتها... هي تخجل من أكثر مما نخجل منها².

ويروي لنا عن "لالة سعدية" قائلا: {صارت لالة سعدية تزور قبر عبد الرحمان كل جمعة، تلبس ملحفة بيضاء، وتحمل معها بخورا تشعله على قبر والد ابنتها الوحيدة فاطمة³، ويقول واصفا علبية: {مرتدية ملحفة بيضاء وحذاء بكعب عالي إلى وجهة أجهلها⁴.

وكذلك الأمر بالنسبة لطعام، الذي يمثل نظاما ثقافيا يحتكم إلى قواعد ثقافية، حيث يروي لنا بطل الرواية عن أجمل اللحظات التي يعيشها في شهر رمضان، {... احتفل وقت الغروب، ساعة الإفطار بمأدبة الأكل مع سليمان، أتلذذ بصحون الشربة و المرق و الطاجين الحلو بالفواكه المجففة ...⁵، فهو يعيش لحظة انتشاء تتسيه مآسيه و تنقله بعيدا عن الواقع.

كما نجده يستسيغ بعض الأطباق التقليدية يقول: {قبل أيام، أخبرتني بأنها ستحضر لنا طبق الشرشم، بالقمح الصلب و الحمص و الفول، بمناسبة رأس السنة الأمازيغية

¹ - عبد الرحمان أيوب: الذاكرة واللسان، المجلة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1999 .

² - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 39.38 .

³ - المرجع نفسه، ص 44 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 75 .

⁵ - المرجع نفسه، ص 128.

الجديدة، لست أحب كثيرا هذه الأكلة التقليدية، إلا أنني لا أمانع في الاحتفال بالمناسبة¹. يحاول "جوزيف" أن يبينها إلى أن كرهه لطبق الشرشم لا يعني بالضرورة أنه يكره المناسبة المصاحبة له، بل يقر بأنه سيحتفل بمناسبة رأس السنة الأمازيغية كغيره من جيرانه وأصدقائه الجزائريين، فهو يحاول أن يوطد الروابط بينه وبين أهالي بوسعادة، لكننا نجده في بعض الأحيان يستذكر عاداته الفرنسية، {كنت أحب أن أقرأ لها ليلا و أنا امضغ خبزا و قليلا من جبنة الكونتي القادمة من سهول جورا شرق فرنسا ... لا اكتفي فقط بالأكل، بل أيضا بشرب ما وصلت إليه يدي من نبيذ محلي أو فرنسي²، فهو يعيش الوطن كحالة إستهامية، يوفرها المكان البديل عنه حيث يحاول دائما التفكير في طرق لتحايل على تلك الآلام الروحية، التي تولدها الغربة عن الوطن.

يتضح من خلال ما سبق أن الأعراف والقيم والتقاليد والعادات، التي تنبأها المجتمع الجزائري قد تعامل معها بنوع من التقديس، وبالشكل الذي يعبر عنه "عبد المالك مرتاض" قائلا: {وهذه العادات والتقاليد الاجتماعية من جملة العوامل التي تميز الشعوب بعضها عن بعض، وإن هذه العادات يقوي سلطانها في أنفس الناس داخل المجتمعات، حتى تصبح لها قوة القاعدة المتبعة و حكم القانون الكلي، فتراهم يحترمونها احترامهم للمبادئ الدينية أو أشد من ذلك أحيانا³.

ب - بين الهوية والانتماء : انشطار الهوية

يتداخل مفهوم الهوية والانتماء في تقاطعات عدة تطرح منذ زمن بعيد على بساط البحث العلمي، إذ غالبا ما يستخدم أحدهما في مكان الآخر في الأدبيات الاجتماعية المعاصرة، فسؤال الهوية يرتبط بالانتماء، ويتحدد وفق العلاقة القائمة بين الذات والآخر، إذ {أن الهوية هي ما يصمد في الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه على الدوام مكونة بذلك

¹ - المرجع نفسه، ص 39 .

² - المرجع السابق، سعيد خطيبي ، ص 23 .

³ - عبد المالك مرتاض: أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، جوان،

1972، ع 8 ماي، ص 214 .

شخصيته محددة معالمه بشكل ثابت، مما يؤثر في الجماعة ويمنحها سمة خاصة بها لذا لا نستطيع فصل الأنا عن نحن، لأن الهوية تحقق شعورا غريزيا بالانتماء إلى الجماعة والتباهي بها¹.

ترتبط الهوية إذن بالإنسان على الدوام، ولا يمكن أن ينفصل عنها، وبها يكون مطابقا لذاته لا لغيره، وهي من العناصر اللازمة التي يحتاجها الفرد للاندماج في الجماعة إذ لا تتحقق هويته إلا إذا حقق انتماءه في الجماعة التي يعيش فيها، كما تتحقق أيضا وفق العلاقة بين الذات والآخر.

تطرح رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" في سياقها العام ماهية الهوية الجديدة للبطل "جوزيف" المقيم في وطن غير وطنه الأصلي "فرنسا" حيث يسعى فيه إلى تحديد هويته وهوية البطلة الغائبة "إيزابيل إيبهارت" المراسلة والأديبة والرحالة ذات الأصول السويسرية، التي عاشت في الجزائر وتنتقلت بين مدنها شمالا وجنوبا، حيث عرفت بترحالها وحبها للصحراء والحياة البدوية، وكتاباتها الأدبية عن ذلك.

نجد في شخصية "إيزابيل" من مقومات التماهي مع شخصية "جوزيف" الشيء الكثير إذ تمكننا من النظر إليه على أنه امتداد لها، يقول: {إيزابيل كانت صورة مؤنثة مني نصرانية متأسلمة، قلقة وملعونة، لاهي أوروبية ولا هي عربية}².

ويقول أيضا: {لقد هجرت بلدي، ولم أعد أعرف عنه شيئا، مثل "إيزابيل" التي لم تعرف شيئا عن بلدها الأصلي روسيا}³، فقد كان هناك رابط يربط يجعل كل منهما يفهم الآخر ويعرفه جيدا، قد يكون ذلك بسبب تجربة السفر لكل منهما إلى نفس المكان، وقد يكون خوف "جوزيف" من أن يلاقي نفس مصير إيزابيل {سأرسم لوحنتين أخيرتين ليوميات إيزابيل إيبهارت، أردمهما في حديقة البيت بين الكرمة وشجرة الليمون، وسأفعل الشيء نفسه

¹ ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، المجلس الوطني الشعبي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2013، ص15.

² المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص26.

³ المرجع نفسه، ص141.

الفصل الثاني سؤال الذات من منظور الآخر في الرواية (أربعون عاما في انتظار إيزابيل)

مع اللوحات الثلاث عشر الأخرى وأبتلع، كالعادة كلمات سليمان الصاخبة ولعناته، لن أرد على لومه لي بأنها فعلة مخلة بأخلاق الفن، فقريبا سيدرك أنني عشت لأرسم وأدفن فني...¹ فقد أدرك "جوزيف" أن مصيره سيكون مثل مصير "إيزابيل" التي ضاعت كتاباتها في ريح الجنوب، كما استطاع من خلال هذا العشق والتشابه بينه وبين "إيزابيل" أن يكتشف ذاته من جديد، حيث عمل على نقل نصوصها إلى لوحات فنية { أعدت ترتيب أوراق المخطوط الذي سهت عنه المطابع، دققته، ثم قمت بتحويل ستة فصول منه إلى ست لوحات تشكيلية }².

وبذلك استطاع أن يكتشف روح التوازن والانسجام في نفسه وشخصيته، { أربعون عاما مرت ونار الانتظار تلتهم قلبي ببطء، اكتشفت "إيزابيل ايبهرارت" بعد أربعين يوما من قراري بالبقاء هنا، ثم أكملت قرابة أربعين عاما أخرى أقرأ لها وعنهما، وأحاول تخيل حياتها لو عاشت بجنونها وشغفها حتى الأربعين }³.

يعد سؤال الهوية سؤالا جوهريا أوليا عند الفرد والجماعة: من أنا؟... من نحن؟ وطريقة التفكير تحدد هذا السؤال وتحدد انتماء الفرد إلى الجماعة التي يعيش فيها، وتحدد نظرة الآخر لهذه الذات، فحالة التأزم عند "جوزيف" كانت نتيجة الاغتراب الذاتي والنفسي حيث يعيش تمزقا مستمرا، لكونه آخر في نظر الجزائريين { الناس هنا لم يستوعبوا كيف لفرنسي ميسور الحال، يترك بيته المريح في لصاحية الباريسية يتخلى عن حياة الترف المباحة ويزاحمهم مشقة العيش... ربما أخطأت يوم قررت المجيء إلى هذه المدينة المعايذة لنفسها }⁴.

هكذا يرى "جوزيف" المدينة بين عين الشفقة والاحتقار، ويسأل نفسه: لماذا أتيت إلى هناك؟ إلى أين أنتمي؟ ما هويتي؟، { ... فقد كنت دائما أطرح على نفسي السؤال نفسه:

¹ - المرجع نفسه، ص11.

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص14.

³ - المرجع نفسه، ص95.

⁴ - المرجع نفسه، ص12.

لماذا أنا هنا ولست هناك؟ وأتجنب الإجابة عليه، مواصلا مناورتي للحياة بفرحها وعبثيتها مغمضا عينين كل ما يمكن أن يشعرني بندم على القرار¹.

ولدت تجربة العيش في الجزائر لدى "جوزيف" شرخا أصاب جهازه الهوياتي يقول: {أعيش بهويتين، بوجهين، الأول لفرنسي قروي قديم، خاض حربا عالمية، والوجه الثاني لجزائري دخيل، شارك في حرب تحريرية²، كما سلب نفسه حق الانتماء إلى الجماعة واكتساب هوية فردية وجماعية يقول: {أنا لا أنتمي لأية قبيلة من القبائل³.

لقد كان "جوزيف" يستوحش المكان ويستبطن الزمن، فقد عاش في الجزائر نمطا معيشيا مؤقتا رغم مكوثه فيه مدة طويلة دامت أربعين عاما، حيث كان يراوده حلم العودة إلى الوطن، وهذا الحلم غير مرتبط بإرادة العودة، بل بهوم هويته التي ارتبطت بغيريات مختلفة عنه، وبمستويات دينية واجتماعية وثقافية ونظم عيش غريبة عنه ثم وجد نفسه يئن من وجع جرح الهوية وأتعب المنفى، لذلك قرر الرجوع إلى فرنسا وهذا الرجوع يمثل {رجوعا إلى نفسه وشخصيته وأصالته⁴، ليجد نفسه مرة أخرى يعيش غربة مزدوجة، غربة الوطن بعد غربة المهجر} النوم لم يعد حليفي، الأرق وحده يلون ليالي، أتقلب مثل سليمان في الفراش، عشرات المرات... أبتلع حبوبا منومة فلا تنفعني، لم أتعود على الحياة الفرنسية، التي غادرتها شابا، كما أنني لم أتعود على الوقت، وبقيت أعيش بتوقيت المدينة التي انقلبت علي، بفارق ساعة وأتحدث مع سليمان بلغة حياتي السابقة، بعربية ممزوجة بكلمات أمازيغية وأخرى فرنسية... أعيش بهويتين⁵.

لقد كان "جوزيف" يرى نفسه دائما بعيدا عن المكان الموجود فيه، فجميع الأمكنة ضاقت به، إذ كان يعيش انشطارا ذاتيا بين هنا وهناك {كتب عليا التيه كما كتب على

¹ - المرجع نفسه، ص13.

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص155.

³ - المرجع نفسه، ص102.

⁴ - بشير بويجرة محمد: الشخصية في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ص296.

⁵ - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص155.

أنبياء من قبلي¹، ويقول أيضا: { فلا أنا جزائري كما يلزم لجزائري أن يكون رغم باسبوري الأخضر... ولا أنا بفرنسي كما يليق بابن عائلة عريقة تمتد إلى قرون من الزمن²، إن هذا التيه الذي يعيشه "جوزيف" ولد لديه الشك في قدرته أو رغبته في الحياة يقول: { أنا رجل ميئوس من حاله، شبه رجل، أو حطام كائن حي، أرسم وأكتب ولا أفعل شيئا آخر، غير انتظار مصير محتوم³، ويضيف قائلا: { أتصور الأرض وهي تدور الآن، تسرع في دوراتها وتطرح الزوائد من البشر، الذين يتقلون حركتها مثلي، خارجها تتركهم يسبحون في الفضاء اللامتناهي بلا وجهة، كجثث بلا هوية...⁴، فزوال الارتباط بين ذاته وهويته جعله يشعر بعبثية وجوده في هذا الكون واللاجدوى من كينونته .

هكذا انشغل التخيل الروائي في "رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل" بإشكالية الهوية من خلال جدل الأنا مع الآخر، الذي أفرز التباسا لدى الآخر في ماهية هويته، مما دفع به إلى الانتفاض بحثا عن هوية جديدة تسعى إلى إعادة بناء الذات المهزومة بانكسارات الغربة والمهجر، والتي طبعت كل من شخصية "جوزيف رينشار" و"إيزابيل إيبرهارت" فليس من السهولة أن تكون عربيا وأوروبيا في نفس الوقت.

2 - المكان ومفارقة الذات والآخر

أجمع الدارسون على أن المكان عنصر مهم جدا في تكوين الخطاب الروائي إذ يمكننا الاستغناء عن هذا المكون نظرا لأهميته وقدرته على التأثير في شخوص الرواية وطابعها بشكل عميق اهتم به الروائيون والكتاب في أعمالهم الفنية والأدبية، يعرف "غانسون باشلار"، المكان الفني الأدبي يقول: {المكان الملموس بواسطة الخيال لن يظل مكانا خاضعا

¹ - المرجع نفسه، ص151.

² - المرجع نفسه، ص91.

³ - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص45.

⁴ - المرجع نفسه، ص45.

لقياسات وتقسيم مساح الأراضي لقد عيش فيه بشكل وضعي بل لكل ما للخيال من تحيز وهو شكل خاص في الغالب مركز اجتذاب دائم وذلك لأنه يركز الوجود في حدود تحميه¹. ومن هنا فقد ارتبط المكان بالتحليل الروائي على غرار العناصر الأدبية الأخرى نظرا لوجوده في أجزاء الرواية كافة فنجد هنري متران يعتبر المكان هو الذي يؤسس للحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل للمظهر الحقيقية²، فالمكان بذلك يضيف على الرواية ذات الأحداث الخيالية صورا واقعية تزيد من الارتباط بالواقع وتكون أكثر قربا للقارئ والتأثير فيه، فالمكان يكون ملازما للحدث فلا سيرورة للأحداث بدون مكان مؤطر لها حيث نجد "جورج بلان" يربط بين المكان الروائي والحدث يقول: {لا توجد أحداث لا توجد أمكنة}³. هذا ونجد للنقد العربي موقفه اتجاه هذا المكون الحكائي الذي مثل بؤرة مركزية في الأعمال الروائية إذ نجد "حميد الحميداني" في دراسة المكان يميز حسن مجيد الربيعي يعرف المكان على أنه: {اصطلاح أنشأه الإنسان لكي يحدد موضعه في المكان ولكي يفهم فهما عقليا، ثم يضيف لهذا السبب لم تجد اللغة والفلسفة مفردة تحل دلالة واحدة ومتميزة على الأشياء غير المفردة المكان نفسها فلفظة المكان إذن ذات دلالة واحدة تعبر تعبيرا واضحا عما يرد منها}⁴.

أ- الأماكن المفتوحة :

نركز في روايتنا هذه "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" على الأمكنة المفتوحة، هذه الأمكنة التي جاءت بشكل مكرر على مدار أحداث الرواية وموزعة توزيعا منظما بحسب ما جاء في الرواية حيث تشغل الرواية أمكنة للتجمع وأخرى للتنقل تاركا للشخصيات من أجل التنقل. ومن أهم الأماكن المفتوحة في الرواية التي نحن بصدد دراستها نذكر من بينها:

¹ - غاستون باشلار: جماليات المكان، غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984، ص60.

² - حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص65.

³ - حسن بحرأوي: بنية الشكل الروائي، ص30.

⁴ - باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث وجمادى للكتاب العالمي، داربد، الأردن، ط1، 2008، ص171.

"المدينة، الأحياء، الشوارع، السوق..." وغيرها من الأماكن التي كان لها دور فاعل في الرواية نفصل فيها كالاتي:

• المدينة:

المدينة هي مكان للعمل والسكن واللهو والترويح عن النفس كما تعد أماكن للبيع والشراء باعتبارها تمثل هوية الإنسان وكذا المسرح الذي تجري فيه الأحداث الروائية، وعليه فالمدينة هي لمسكن الإنسان الطبيعي أوجدها الناس لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم وأوجدوها لتساعدهم في العيش وتطمئنهم وتحميهم من المناوئ ومن أنفسهم¹، إذ تحمل المدينة بدورها العديد من الأبعاد والقيم في كما يرى "شريف حبيلة" هي {مجموعة من المسافات لها أبعادها الاجتماعية والنفسية والفكرية والسياسية}².

نظرا لهذه الأبعاد التي تحملها الرواية كمكان مفتوح فقد اعتبرها الروائيون من أهم المواضيع الخصبة التي تثري الخطاب السردى.

تمثل المدينة "بوسعادة" في الرواية المكان المفتوح الذي تدور فيه أحداث الرواية من البداية إلى النهاية على غرار مدينتي "عين الصفراء" و"واد سوف" وبعض القرى التي زارها الراوي، فقد كانت لمدينة بوسعادة حضور وتجسيد بارزا في الرواية اهتم بها "جوزيف" لأنها مكان يسمح له بالتنقل والحركة من مكان إلى آخر، وحين كتب عن بوسعادة نجده ينعته بأحيائها وشوارعها التي جاب فيها وكذا ساحاتها منها ساحة أول نوفمبر التي مر بها مع سائق السيارة متجها إلى شيخ الزاوية وصفها بأدق التفاصيل من خلال وصف الجدران التي كانت تحمل صورا للمترشحين وكذا حالة الناس واضطرابات الوضع السائد فيها جراء هذه الانتخابات.

شكلت مدينة "بوسعادة" حالة ذاتية نفسية لدى "جوزيف" عادة ما تشعره بحالات من الضياع والإحباط والأسى، ونظرا للحالة التي كانت تراود الروائي فقد تحولت المدينة إلى

¹ مهدي عبيدي: المكان في ثلاثية حنامينة، (حكاية بحار الدقل المرفأ البعيد)، ص96.

² الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، دارد، الأردن، ط1، 2010.

مكان مغلق بحيث لم يجد فيها طعم الراحة والأمان ولم يتأقلم مع طبيعة العيش مع سكان هذه المدينة بالرغم من أنه كان يعيش في السابق حياة مريحة وهادئة بعيدة عن الصخب يتجلى ذلك من خلال قوله: {كيف لفرنسي ميسور الحال يترك بيته المريح في الضاحية الباريسية يتخلى عن حياة الترف المباحة ويزاحمهم مشقة العيش في المدينة، تنذر فيها المواد الغذائية الأساسية ... ربما أخطأت يوم قررت المجيء إلى هذه المدينة المعادية لنفسها}¹.

نستنتج من خلال ذلك بأن الراوي يعيش حالة الندم والاضطراب ، وعدم الاستقرار الذاتي لاسيما مع الوضع السياسي الذي آلت إليه البلاد فهذا الإحساس بالعدائية تجاه المدينة كان له حضورا بارزا في الرواية في حد ذاتها، نجد "جوزيف" ينعتها بدلالات الحقد والكراهية إذ يقول: {هذه المدينة التي تتسع لحقد ولكراهية الماضي والحاضر}²، فعلاقة "جوزيف" بهذه المدينة هي علاقة توتر وقلق وهذا ما ولد بدوره جو من التفاعل داخل المتن الروائي والمقاطع الدالة على ذلك متعددة من بينها: {لست متأكدا إذا كانت لدي الرغبة في أن أدفن في هذه المدينة الفظة والجادة}³، هذا الحساس بالأشياء وصل به لدرجة أنه لم يتقبل أن يدفن فيها وكذا يقول في موضع آخر: {إنها مدينة مشبعة بالأوهام والسقطات}⁴.

وأیضا بأنها مدينة: المحمومة بعيدا عن أصواتها وكسلها ونميتها وكآبتها وخشوعها ولفظها وثرثرتها⁵.

فقد اتخذ "جوزيف" قرار حدد من خلاله مصيره هو وصديقه "سليمان" بتركهما لهذه المدينة التي لم يحصدا منها شيئا غير المعاناة والظلم يقول في هذا الموضع: {يجب أن أتحرر من هذه المدينة العانس أن أسحب جسدي من فتورها، أن أغسل ذاكرتي منها وأن أسقطها من مخيلتي وأعفي نفسي من الارتباط بها بعلاقة تشبه متلازمة ستوكهولم هي

¹ المرجع السابق: سعيد الخطيبي، ص 12-13.

² - المرجع السابق: سعيد الخطيبي ، ص 107.

³ - المرجع نفسه، ص 30.

⁴ - المرجع نفسه، ص 89.

⁵ -

تقيدني وتمتعت في الانتقام مني وأنا أتعاطف معها وأمعن في التودد إليها¹، بالرغم من أن "جوزيف" كان يكن لهذه المدينة مشاعر الحب والألفة إلا أنها مارست عليه ضغوطات فرضت عليه كراهية هذا المكان.

على غرار علاقة الاضطراب وعدم الاستقرار والتوتر والقلق التي كانت تربط "جوزيف" بهذه المدينة إلا أن لسكانها دور بالغ الأهمية في حالة الاستياء التي وصل إليها من خلال تصرفاتهم فقد صرح بذلك في قوله: {الناس يترصدون كل حركة لشخص يعتقدون أنه لا ينتمي إلى هذه المدينة... لا يقبلون لغير أبناء هذه البقعة أو الموالين لها بالعيش في هدوء نسبي فيها، هم يرفضون كل القادمين وكل المارين من الممكن أن يضعوني في سلة واحدة معهم وينفضوا أيديهم مني²، كما نعتوه بالبراني على حد قول "عبد الكريم طيطي" {المدينة كلاوها البرانية³، حتى أنه أصبح لا يفهم سلوكياتهم المعادية هذه إذ يقول: {شعرت أنني لا أعرف أهل هذه المدينة الملتوية، شعرت فعلا أنني غريب، ولا أشبههم وهم لا يشبهونني⁴.

• الأحياء والشوارع:

اهتم الروائيون اهتماما بهذا الفضاء وذلك كونه مكانا تنتقل فيه الشخصيات الروائية وتقوم بأحداث مختلفة من شارع إلى آخر وذلك من خلال تحركاتها وتنقلاتها، فهو يؤدي وظيفة مهمة جدا كونه يصل جميع الفضاءات الأخرى ببعضها البعض وبذلك عد حلقة وصل تتحرك فيها الشخصيات، فالشارع كما يقول بحراوي: {أماكن انتقال ومرور نموذجية فهي التي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها ولروادها عندما تغادر أماكن إقامتها⁵.

1_

2_

3_

4_

5_ حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 69.

وبالنسبة لرواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" نجد الروائي "سعيد خطيبي" قد وقف إلى حد ما إلى توظيف الأحياء والشوارع وكذا الطرقات، حيث اعتمد على سرد ووصف ما يقع في هذه الأحياء من قصص استعرضها لنا في نصه هذا نهيكاً عن الدور الذي كانت تؤديه هذه الأحياء والشوارع في مساندة ما جاءت به من أفكار ومساندة لأحداث الرواية من بينها نذكر قصة وفاة "علجية" جارت "جوزيف" في الحي الذي يسكن فيه حيث يصف ويسرد لنا الراوي ما جرى في الحي بالتفصيل من أحداث وذلك من خلال مجيء الشرطة إلى بيت الضحية لتحقيق في القضية مشككة بأن زوجها هو الذي قتلها ويرصد لنا حالة الناس في الحي بعد مغادرة الشرطة ويظهر ذلك جليا في قوله: «بعد ما غادرت الشرطة بيت الضحية، وتركت حفنة من شباب الحي يتجمعون تحت حائط مقابل للمكان الذي وقعت فيه الحادثة مستعرضين سيناريوهات لمحاكمة "الميلود" ومقترحين العقوبات التي يتلقاها المتهم»¹.

نستنتج من خلال ذلك بأن الراوي يبين لنا الدور الذي يؤديه الحي في بناء أحداث الرواية إضافة إلى ذلك فقد خصص الروائي شارعين اثنين هما في "لبدرانة" و في "ديار الزوالية"، فهذا الأخير ينعتة لنا الراوي بأدق التفاصيل بنياته وما يجري فيه من أمور سيئة وفسادة مخلة بهذا الحي يقول: «في ديار الزوالية أو هكذا يسميه الناس واحد من الأحياء الأكثر اكتظاظا بنياته طوبية وهشة بعض منها لا يتوفر على الكهرباء ولا على الماء... هو مرادف للجريمة ولقطاع الطرق، لتجارة الحشيش والحبوب المهلوسة والسلاح والدعارة والسمسرة»²، فقد أصبح الحي مرتبطا بكل مظاهر الفساد والانحلال لاسيما السرقة التي حدثت في هذا الحي "حيزية" التي سرقت منها قلادتها كما صرح الراوي يقول: «هناك تعرضت جارتنا حيزية لسرقة قلادتها الذهبية»³، أما بالنسبة "لحي لبدرانة" يعد من بين

¹ - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 76.

² - المرجع نفسه، ص 61.

³ - المرجع نفسه، ص 61.

الأحياء التي انتشرت فيها كل أنواع الفساد الأخلاقي، إذ يعد منبت الكثير من الآفات منها المخدرات والمصدر الرئيسي لها فقد أقر "جوزيف" بأنه كثيرا ما يذهب لاقتناء حاجاته من هناك من حشيش وخمر ومهلوسات، إذ يقول: {كنت أقتني حاجتي من الحشيش من حي لبدرانة... اشتري هناك من باعة يافعين حشيشا قادمًا من تلال المغرب أو من حدائق خفية في صحراء البلاد رائحته زكية وطعم تدخينه يظل حاضرا بين الشفتين ساعات طويلة أما الخمر فكان يأتيني من معصرة تقع في المخرج الغربي للمدينة¹، وهذا دليل على غياب الوعي والرقابة لدى السكان لدرجة أنهم يعملون ويدخلون الممنوعات والمحرمات بشكل علني وتخلي عن قيمهم وعاداتهم الإسلامية فنظرا للحال التي آلت إليه الأحياء كان سليمان يذهب مع جوزيف خوفا عليه فكان يقول له: {ما نخليكش وحدك يا لعميرة ما كانش لمان².

ومنه نستنتج بأن الأحياء والشوارع كانت مؤشرا للعديد من الدلالات السائدة في المنطقة والمرتبطة بطبيعة العيش في الأحياء الجزائرية إلا أنه حمل طابعا سلبيا أثر على الشخصيات الروائية وعلى ذات "جوزيف" ونفسيته الذي كان يحكي ما يدور فيها بالتفصيل، فقد أصبح مكان تمارس فيه المحرمات مثل "حي لبدرانة" إضافة إلى انتهاك الحرمات وانتشار الممارسات المنحرفة.

• المقهى:

يمثل "المقهى" مكانا تجتمع فيه شخصيات مختلفة الأعمار وغريبة عن بعضها البعض يتودد إليه الكائن البشري بعد الخروج من البيت أو العمل، يقصدها الكثير من أجل التسلية أو العزلة بقراءة جريد أو مجلة، والبعض الآخر يتخذها مكانا يجتمع في الأدباء أو المثقفين بغرض المناقشة حول عمل أدبي أو فكري، فهو مكان يدخل في بناء العمل الروائي

¹ - المرجع نفسه، ص 87.

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 87.

بوصفه فسحة خلاقة تقدم تفاعلا ملموسا مع شخصيات العمل نفسه وفضاء تتمحور فيه الأحداث التي تجري من خلال الحوارات والوصف¹.

وقد ورد "المقهى" في هذه الرواية بتسميات مختلفة منها "مقهى شالون" فالروائي جعل من هذا المكان، مكان ايجابي من خلال شعور "جوزيف" بالذنب من عدم مصالحته لصديقه "محاد" يقول: {كانت تعصف بعلاقة الصداقة التي كانت بيننا، لو أنني صالحته في صبيحة اليوم الموالي ودعوته إلى شاي في مقهى شالون}².

تبين لنا من خلال هذا المقطع أن البطل "جوزيف" في حسرة وخيبة أمل نفسية ذاتية أصابته بعدم صلحه مع صديقه المتوفى قبل فوات الأوان.

كما نجد أن الكثير من الشباب يتوافدون على المقاهي خاصة أيام رمضان لما له من نكهة خاصة وأجواء مختلفة عن سائر الأيام الأخرى، بحيث يتحول إلى مكان لعب ولهو وتبادل أطراف الحديث وهذا ما نجده في قول جوزيف: {وفي المساء أجلس في المقهى مع المعارف أَلعب معهم لعب السبق والدومينو والورق أتمنى لهم إفطارا وسحورا طيبا}³.

كما نجد مكان "المقهى" في هذه الرواية اتخذ منا وبعدا آخر مختلفا وهذا ما لجأ إليه الراوي حيث أصبح المقهى مكان اجتماعهم والحديث عن مجريات أخبار السياسة وما تشهده البلاد من أوضاع وأحداث المظاهرات فقد كان مقهى "لاجونس" دليل على ذلك وإن أرادوا التعليق على الانتخابات وعلى ميولاتهم السياسية فلا بديل لهم عن المقاهي، كالمقهى المسمى "قهوة لاجوناس"⁴.

أي أنها أصبحت وسيلة لجلب المعلومات يقول في موقع آخر: {مات حوالي أربعين رجلا في البلاد بحسب كلام جريدة سالت الدماء... وعاد أنصار حزب العدالة يطالبون

¹ مهدي عبيدي: جمالية المكان في ثلاثية حنامينة (حكاية تجار الدقل المرفأ البعيد) ص67.

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص99.

³ - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص128.

⁴ - المرجع نفسه: ص60.

بصوت خافت حقهم في الانتخابات... كل هذا يصلني فقط من أخبار على الورق ووشوشات في مقهى شالون أو مقهى السعادة¹.

نستخلص من هذا أن "المقهى" يمنح بعدا جماليا وانفتاحا على الخارج، فوجوده في الشارع العربي قد منحه بعدا جماليا جديدا فقد أتاح المقهى للروائي والفنان أن يتأملا الشارع جيدا أو يدرك جيدا ما يدور فيه، وبكل بساطة كان المقهى هي كرسي التأمل للشارع وكان هو كرسي الفرجة على الشارع.

ب- الأمكنة المغلقة:

وفي الرواية التي نحن بصدد دراستها "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" تعددت الأماكن المغلقة وارتبطت أشد الارتباط بالشخصية المحورية "جوزيف" من بين هذه الأماكن نذكر:

• البيت:

يعد البيت مكانا للاستقرار والأمن والحرية، فهو المأوى الوحيد الذي يحس الإنسان بطعم الراحة مع أفراد البيت باعتباره رمز للعائلة لما يحمله من محبة وسكينة، ومعظم الروائيين كان لهم اهتمام خاص بهذا المكان باعتباره مرتبط بالشخصيات {فإنك إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان، فالبيوت تعبر عن أصحابها وهي تفعل الجو في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيه².

وإذا انتقلنا إلى "البيت" في الرواية نجده مكان جد مهم باعتباره مسرح الأحداث فقد حظي في الرواية عدة مرات في أحداث مختلفة ونجد البطل الرئيسي ينتقل من مكان لآخر وأهم شخصية وردت في الرواية هو (الحاج جوزيف وصديقه سليمان) فنلاحظ "جوزيف" وصف بيت "سليمان" وصفا دقيقا مبرز الحالة الاجتماعية التي كان يعاني منها هذا البيت:

¹ - المرجع نفسه، ص 145.

² - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 43.

{ يخفي قلقه بتكرار الحديث عن نيته في إعادة صبغ البيت بالأبيض استعدادا لرمضان وللربيع القادمين ورغبته في تغيير الباب الخارجي الخشبي بآخر من حديد... وأن الحيطان يجب صبغتها كل عام }¹.

ومن خلال هذا نرى أن "بيت سليمان" كان يفتقر إلى العناية والاهتمام وضرورة تجديده من جديد يمثل بذلك دلالة واضحة على الحالة المزرية التي كانت عليها.

وبما أن "البيت" هو مكان الحب والحنان إلا أنه في بعض الأحيان يتحول إلى الخيانة ومسرح للجريمة وهذا ما تجسد في بيت "ميلود" الذي أقدم على قتل "زوجته علجية" شنقا بالحبل في المطبخ: { فإن ميلود قتل زوجته خنقا قبل أن يعلق جثتها على مشنقة للتمويه بعد ما راوده الشك بأنها ترتبط بعلاقة مع شاب ثلاثيني }²، فقد تحول هذا المكان إلى فضاء مرعب وموحش بعد أن تمت فيه عملية القتل، ومن بيوت الشخصيات التي نكرتها الرواية نجد بيت "الحاج علي" نائب رئيس المجلس البلدي حيث لم يتطرق إلى وصفه أو يمكن أن نقول لم تتيح له الفرصة فقد تعامل أصحاب البيت مع "جوزيف" معاملة سيئة وهي التجاهل، يقول: { ومرات أخرى يتحجج بكثرة مصاريفه العائلية وأحيانا يتجنب مقابلي حين أذهب إليه إلى البيت يرسل لي أحد أبنائه محمد أو خالد أو جلال ليقتنعني بأن والده غير موجود }³.

تطرق البطل أيضا إلى البيت الذي رآه في منامه مع جارته "شانتال" في الضيعة إلا أنه لم يعطي أية تفاصيل عن هذا البيت بمجرد ذكره فقط: { التقيت بها في هذه المدينة المكتظة بالكوابيس، في بيت لم أستطع تحديد إحداثياته }⁴.

وكما نعرف أن "البيت" عادة ما يرتبط بالحنان والدفء باعتباره المكان الذي ترعرع فيه الإنسان منذ طفولته وحتى كبره وما حدث في هذه الرواية عكس ذلك إذ نجده يتحول إلى

¹ - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 16.

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 74.

³ - المرجع نفسه: ص 84.

⁴ - المرجع نفسه: ص 78.

مشهد حزن و أسى فقد جعله الكاتب دراميا نوعا ما وهو ما حدث في بيت "محاد" صديق البطل "جوزيف" حين تحول بيته إلى عزاء بعد صراعه مع المرض أدى ذلك إلى موته، عمد البطل على وصف الأجواء يقول: { وقفت أمام بيت الميت لتقديم التعازي صوت القرآن ينبعث هادئا من الداخل، رائحة البخور تملأ المكان ونعش أخضر أتوا به من المسجد، وضع في رواق البيت، فقدمت إلى الأمام في بطئ .. مشيت بهدوء ثم استدرت أولا يمينا وجدت نفسي في رواق ثان أضيق من الأول ويقود إلى غرفة }¹.

نستنتج من هذا القول أن السارد سمح للقارئ حالة بيت "محاد" وما لاحظناه أنه بيت ضيق لم يلجأ كثيرا إلى وصف حالة البيت و إنما لجأ أكثر إلى وصف أجواء العزاء وحالة أفراده. وكما أشرنا سابقا أن البيت منبع الأمن كذلك نجده الملجأ الوحيد الذي يلجأ إليه الكائن الإنساني عند الشعور بالخوف والخطر وهذا ما تجسد مع "جوزيف" و"سليمان" عند تدهور أوضاع البلاد من مظاهرات يقول جوزيف في هذا الصدد: { في ذلك اليوم الكئيب بقيت أنا وسليمان معتكفين في البيت خوفا من التعرض لحادث أو ضرب العصي أو اعتقال عشوائي }².

كما ذكر الروائي حديقة البيت التي استعان بها البطل لحماية لوحاته المرسومة فاعتبرها ملجأ لأمن لوحاته { سأرسم لوحتين أخيرتين ليوميات إيزابيل إيبرهات أردمهما في حديقة البيت بين الكرمة وشجرة الليمون وسأفعل الشيء نفسه مع اللوحات الثلاث عشر }³. ما نستخلصه في الأخير أن صورة البيت في هذه الرواية حمل دلالات ومؤشرات متنوعة نجده يرتبط أحيانا بالحب، الحزن، الموت، الخوف، الخيانة، الملجأ وهذا دليل على أن البيت مكان ضروري يتودد إليه الإنسان باستمرار إذ لا يستغنى عنه في الأعمال الروائية.

• المقبرة:

¹ - المرجع نفسه: ص 99.

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 92.

³ - المرجع نفسه: ص 11.

تعد المقابر مكان متكامل بحيث يشكل مدينة حقيقية ومتكاملة للأموات فعادة ما يرتبط اسمها بحالات الأسى والحزن العميق فهي لا نذكرنا إلا بلحظات الفراق وفي روايتنا هذه "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"، أولى الروائي اهتماما واضحا لهذا المكون "المقبرة" حيث كان له حضور بارز على مدار سيرورة أحداث الرواية، لقد تعددت المقابر في المتن الروائي إلا أنه حصرها في ثلاث مقابر مصرحا بقوله: { ففي حي الأقواس على المخرج الجنوبي من المدينة توجد ثلاث مقابر مقبرة المسيحيين، ثانية للمسلمين، وثالثة للإباضيين }¹.
فقد قسم السارد هنا المقابر بحسب الطوائف في المدينة ولعل أهم مقبرة كانت، مقبرة عين الصفراء وفي بعض المواضع من الرواية ذكرت باسمها "سيدي بوجمعة" وهي المقبرة التي دفنت فيها إيزابيل ايبرهارة إذ يقول: { مقبرة عين الصفراء لا بد أن تكون أكثر المقابر حظا في البلد كله فهي تحتضن جثمانى إيزابيل وهذه الشابة المسماة صافية كتو }².

كما أن الروائي يصور لنا الحال الذي آلت إليه المقابر وما يجري فيها من أحداث، فالمقبرة ليست مكانا للنتزه والتسكع، بل هي مكان للعبرة والتذكر من أجل معرفة حقيقة الدنيا الزائلة والعمل للدار الآخرة، ولكن مع الأسف الشديد تحولت المقبرة في هذه الرواية كما صرح بذلك الراوي على ما يحدث في مقبرة النصارى، إلى وكر لممارسة الرذيلة وترويج المخدرات وانتهاك حرمان الأموات.

هذا وتوالت الأحداث والأوضاع المشينة والمزرية التي وصلت إليها المقابر منها قصة الرضيع الذي وجد بين القبور و تخلصت منه أمه و في الأخير كفله في المؤذن وهذا ما ورد في قوله : { لقد حصل وأن بعث الرب نفسا وسط الأموات وقعت قبل سنوات قليلة قصة سمع بها كل سكان المدينة وجدوا صباحا بين القبور رضيعا في شهره الأول لم تجد أمه مكانا لتخلص منه سوى مقبرة النصارى }³.

¹ - المرجع نفسه: ص 29 .

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 28.

³ - المرجع نفسه: ص 55 .

هذا بالإضافة عن حديثه عن مقبرة الإباضيين التي كان يتوود إليها أحيانا لكنه لم يدخلها قوله: {قبالة جبانة النصارى ... ينتصب عاليا سور المقبرة الإباضية التي لم يدخلها يوما و شاهدت ما بداخلها فقط من الباب الحديدي فهي لا تفتح سوى صبيحة الجمعة لساعة أو ساعتين}¹، هذا وقد حظيت المقابر باهتمام بالغ من قبل الراوي من بينها المقبرة السنية التي كانت أهم المقابر الثلاث يقصدها أهالي مدينة بوسعادة من اجل الترحم على موتاهم حتى أن الراوي فكر في أجله وإن اقترب وهو في هذه المدينة لا يجد خيرا منها لاحتضان جثمانه إذ يقول: {إن حدث ومت هنا فلا خيار لي سوى المقبرة السنية، هي أكبر المقابر الثلاث، لها حارس كهل بشارب كث، وزوار يترددون عليها أيام الأسبوع ويزداد عددهم صبيحة كل يوم جمعة}².

وقد ارتبط هذا المكان أيضا بمكان مقبرة سيدي بوجمعة بـ"عين الصفراء" أين دفن "إيزابيل"، فالمقبرة السنية لا تختلف كثيرا عنها في الحدث الذي ربط "جوزيف" بـ "إيزابيل" على غرار وصف الراوي لها بتفاصيلها وما يجري فيها وذلك حينما قال: {على بعد حوالي مئتي متر من مقبرة الإباضيين في حي الأقواس دائما توجد مقبرة السنة التي تنزل إليها كل يوم اثنين بعد صلاة الظهر كتبية من المخلصين لتنظيفها ...، إيزابيل ترقد في مقبرة لا تختلف عن مقبرة السنة تريح قلبها هناك بسيدي بوجمعة بعين الصفراء}³.

من هنا نلاحظ بأن المقبرة من أهم الأمكنة التي احتلت مكانا متميزا في هذه الرواية ساهم في سير الأحداث وإضافة دلالة خاصة على الشخصيات لاسيما الشخصية الرئيسية جوزيف.

• المسجد:

في توظيف آخر للأماكن المغلقة نجد المسجد نموذج آخر للمكان يلعب دورا بارزا في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"، فالمسجد كما هو معروف من أهم الأماكن

¹ - المرجع نفسه: ص 56 .

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 29 .

³ - المرجع نفسه: ص 57.56 .

المقدسة التي يقصدها المسلمون للعبادة والذكر وأداء أهم الفرائض ألا وهي الصلاة، إذ أن حقيقة هذا المكان في الأصل تعلم الدين وفهمه والأخذ بقواعده، فهو: {الحيز المكان الذي يحتضن المشاعر المشتركة بين أفراد الجماعة حيث تختفي فيه المشاحنات الفردية وتطغى فيه روح الجماعة وموقفها العام}¹.

في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" نلاحظ أن المسجد كان له دور فارق في حياة الشخصية جوزيف، حيث أسلم فيه ونطق الشهادتين و يعد المسجد الوحيد الموجود في المدينة يقول: {يوم اعتنقت الإسلام ونطقت بتلعم الشهادتين في المسجد الكبير}²، وقوله في موضع آخر: {تعلمت العربية على يد الشيخ البردعي في المسجد الكبير الذي نطقت فيه الشهادتين على اللوح وبالكتابة بالصمغ علمني الشيخ البردعي بصبر وحنكة حروف الهجاء والأسماء والأفعال}³.

والى جانب العبادة وحلقات الذكر احتضن المسجد منحى آخر وذلك من خلال تجمعات الأحزاب لمناقشة الوضع الذي آلت إليه البلاد فمع دخول إمام المسجد السابق في غمار الانتخابات زادت حركة هذه التجمعات من خلال توزيع المطويات على المصلين تحديدا في المائضة: {صافح بعض المصلين بحرارة في بهو قاعة الصلاة وفي المائضة، تكلم معهم ووزع عليهم مطويات برنامج حزب العدالة الذي انظم إليه وتلقى وعودا من طرف بعض الشباب للتصويت للقائمة التي انظم إليها شريطة أن ينظر في مشاكلهم ... ويوفر لهم فرص الشغل وحلولا ميسرة للظفر بسكن}⁴.

نلاحظ أن إمام المسجد زرع في قلوب الشباب الأمل من خلال إيجاد حل للأزمة التي تعيشها البلاد والاستجابة لمطالبهم بعد وصوله إلى البرلمان.

¹ - عبد الحميد بورايو: منطق السرد، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، د ط، 1994، ص 147 .

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 12 .

³ - المرجع نفسه: ص 27.

⁴ - المرجع نفسه: ص 60.

• الكنيسة:

هي مكان للعبادة يقصدها المسيحيون من أجل أداء بعض الطقوس الخاصة بهم كانوا يقصدونها أيضا من أجل التعبد فقد كان لهذا المكان حضورا ثانوي في الرواية إلا أنه ارتبط أشد الارتباط بالشخصية الرئيسية "جوزيف" الذي كان نصف مسلم ونصف مسيحي رغم عيشه في الجزائر واعتناقه الإسلام كما صرّح في بدايات الرواية، إلا أنه بقي وفي للكنيسة يحبها كحب الأرملة لزوجها حيث أننا نجده يصفها وينعتها لنا من خلال تحديد مكانها وذلك حينما قال: {الكنيسة المتوحدة الباردة والصامدة}¹. فقد كان يقصدها من أجل الصلاة فيها صلوات سريعة ومضطربة كأنه كان يذهب إليها خفية داعيا فيها الرب أن يحميه هو ورفيق دربه سليمان جراء الوضع الذي آلت إليه البلاد بسبب دنو أجل الانتخابات المنتظر إجراؤها قريبا ويتجلى ذلك في قول السارد: {أصلي صلوات سريعة وقلقة أدعو من الرب أن يجنّبني أنا وسليمان كل مكروه ثم أرسم إشارة الصليب وأخرج مهرولا}²، كان يتجنب أن يراه أحد المارين ويشك في إسلامه إضافة إلى تحسره إلى الوضع الذي آلت إليه الكنيسة فقد أصبحت مهجورة ومنسية ولا أحد يقصدها.

من خلال ذلك كله نستنتج بأن الروائي وفق في وصف هذا المكان واستحضاره في الرواية من أجل التعبير عن ذاته ومشاعره وما يختلج صدره من آلام تجاهها .

ج- علاقة الشخصية بالأمكنة:

يعد المكان شرط الوجود الإنساني فيه يتحرك الإنسان ويعيش، فضلا عن كونه ذلك المكان الجغرافي المحدد بأبعاد، فإن توظيفه في الرواية يتجاوز بعده الهندسي إلى البعد الفعال في إثراء الرواية، وذلك حينما تحتضنه اللغة وتحمله أبعادا لغوية يصبح مكان ذات أبعاد دلالية وجمالية مرتبطة أشد الارتباط بالشخصية التي تعيش وتتحرك فيه وبما أن هذا الأخير "مكان" من أهم الركائز الروائية يعرفه "لطيف زيتوني" بقوله: { كل مشارك في

¹- المرجع نفسه: ص52.

²- المرجع نفسه: ص52.

أحداث الحكاية سلبا أو إيجابا أما من لم يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات... فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها¹، ما يعني أنه من غير المعقول الاستغناء على " الشخصية وما لها من دور فعال في تحريك الأحداث وإضفاء جمالية على المكان الذي لا يمكن أن يتحدد إلا بها: { فالمكان ليس شيئا منفصلا عن جسد الإنسان، بل هو امتداد له وما تنقله من مكان إلى آخر إلا في زاوية القلب من جنب إلى جنب فإذا وجد ما ينشده من مكان ما استقر فيه إلى أن يشاء الله فيرحل إلى غيره }². وبما أن الإنسان هو ابن بيئته يتأثر بها فهي أيضا تؤثر في أدائه وسلوكاته وما يصدر منه من تصرفات وما يحمله من تصورات، كل ذلك ارتبط بالمكان الروائي لأنه مكان تتحرك فيه الشخصيات التي لا يمكنها أداء الدور المنوط بها إلا في ثناياها { يعمل المكان على التأثير في الشخصية وتحضيرها إلى اتخاذ موقف ما أو القيام بحدث ما دون آخر يحددها الخط الذي تصير فيه من خلال اختيار الروائي الأوصاف التي سوف يلصقها بها، من هنا اعتبر المكان الروائي بمثابة بناء يتم إنشائه }³.

وعليه فالمكان مكون يستلزم حضوره الذات التي تعيش على أرضيته وتتحرك في زواياه ومن هنا تتحدد علاقة الشخصية بالمكان، هذه العلاقة لا بد منها من أجل بناء العمل الروائي { فقد أجمع نقاد الرواية الجديدة على أن للمكان دورا كبيرا في تحديد الخصائص الفكرية والنفسية للشخصية وأكدوا العلاقة بينهما وذهبوا إلى أن وظيفة المكان هي إلقاء المزيد من الضوء على الشخصية }⁴.

وعليه فإن الشخصية تعدّ ركيزة أساسية لا يمكن أن نفصلها عن المكان الذي يضمها من أجل أداء أدوارها وتحركها، فمن خلال دراستنا للأماكن المغلقة والمفتوحة توصلنا

¹ - لطيف زيتوني :معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1 ، 2002 ، ص14.13.

² - إبراهيم أحمد ملحم: شعرية المكان، قراءة في شعر مانع القبية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1 ، 2011، ص52 .

³ - الشريف حبيبة: مكونات الخطاب السردي، مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص44 .

⁴ - محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، دط، 1999، ص184 .

إلى تحديد الملامح الداخلية والخارجية للشخصيات ومدى ارتباطها بهذه الأمكنة وتتدلى هذه العلاقة كالتالي:

• علاقة تنافر:

نقصد بها عدم انسجام الشخصية مع المكان الذي تحل وتتواجد فيه والمتتبع لرواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لسعيد خطيبي، يلاحظ مدى تجلي هذا التنافر من خلال علاقة "جوزيف" بمدينة "بوسعادة" نجد الراوي مكروها لا راغبا فيها فقد كان لها تأثير في نفسيته بحيث كان يشعر حيالها بعدم الاطمئنان جراء الاضطرابات التي تعيشها المدينة من أوضاع سياسية وانتخابات برلمانية يقول: {المهم كان يجب أن لا أجد نفسي هنا في حفرة تحمل صفة مدينة¹، ويقول في موضع آخر: {في صغري لم أفكر في الترحال ووجدتني مثلها أغادر صقيع مدينتي الشمالية وألجأ إلى هذه البقعة المتكاسلة والصادمة².

إذ نجد هذه المدينة ولدت مشاعر عدا وكره لـ "جوزيف" وهو بعيد عن بلده الأصلي وعلى الرغم من أنه أسلم وعاش بين سكانها مدة طويلة جدا إلا أن ذلك لم يمنعه من النفور اتجاهها ومن الأماكن أيضا نذكر "المسجد" الذي يعد مكان يشعر فيه الإنسان بالأمان والراحة النفسية باعتباره مكان عبادة وذكر لكن الذات في هذا الموضع عكس ذلك لم يحس بتلك الطمأنينة والمحبة والتآلف إذ نجده صور لنا عدائية بالنسبة لـ "جوزيف" ومكان أراد الهروب منه لحظة خطبة إمام المسجد في يوم الجمعة: {اللهم انصر دولة الإسلام واجعل بلدك هذا بلدا مسلما وآمنا... اللهم دمر الكفار تدميرا... اللهم عليك باليهود والنصارى، أدلهم اجعلهم للمسلمين عبيدا... لم أتقبل نبرة الإمام التي كانت ترتفع كلما كرر كلمة اللهم بقيت رافعا يدي وأن أشتمه وأسبّه في داخلي³، من خلال هذا المقطع يؤكد

¹ - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 17 .

² - المرجع نفسه: ص 33.

³ - المرجع نفسه: ص 92.91 .

جوزيف أنه لم يعد بمقدوره العيش في الجزائر والصلاة في مساجدهم بسبب حقدهم الشديد تجاه غيرهم من الديانات.

• علاقة انتماء:

نقصد بها العلاقة التي يشعر من خلالها الشخصية بالانتماء لهذا المكان الذي يتحرك فيه فنجد الشخصية تولي اهتماما وتعلقا شديدا بالمكان المرتبط به أشد الارتباط وهذا ما تجسد من خلال ارتباط "جوزيف" بمدينة "بوسعادة" بالرغم لما تلقاه من معاملات من أناسها وعدم تأقلمه مع طبيعة عيشهم، إلا أننا نلاحظ بأن هناك محبة وألفة ورابط يشعر به "جوزيف" تجاه الجزائر وبالتحديد "مدينة بوسعادة" التي عاش فيها قرابة أربعين عاما بالرغم من أنه ترك وطنه الأم إلا أنه أحبها وأحب طبيعتها وتراثها، يقول: { هذه المدينة الصهباء التي أقيم فيها منذ أر بعين عاما أحبها مثلما أحببتها إيزابيل وغيرتي عليها تجعلني أعاتبها وأغضب منها¹، حتى أنه شبّه علاقته بهذه المدينة "بمرض ستوكهولم" الذي يصيب الفرد عندما يتعاطف من يكره وهو ما حصل مع "جوزيف" إذ نجده يولي اهتماما شديدا من خلال مشاعره الإيجابية وارتباطه القوي بينه وبين "مدينة بوسعادة" يكن لها الحب والاحترام عكس ما رآه منها: {علاقتي بها تشبه متلازمة ستوكهولم هي تقيدني وتمعن في الانتقام مني وأنا أتعاطف معها وأمعن في التودد إليها². وبالرغم من إحساسه بأنه منبوذ في الجزائر إلا أنه كان يشعر اتجاهها بحنين وشوق إذا ابتعد عنها ودليل ذلك في قوله: {فمن غير المعقول أن أغار هذه المدينة المغترة بنفسها دون تذكّار يعيدني إليها كلما اشتقت إليها في ضاحية باريس³، إضافة إلى ما يحمله هذا المكان من حب وود يجمعان "جوزيف" بمكان الضيعة.

وقد تجسدت هذه العلاقة من خلال حنينه إلى طفولته مع جارتة "شانتال": {كانت أول فتاة انسجمت معها تأسفت أنني لم أحفظ تواصلها معها ... يتملكني أحيانا حنين العودة

¹ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 89.

² - المرجع نفسه: ص 139.

³ - المرجع نفسه: ص 144.

إلى صباي¹، هذا لم يمنع أيضا من حنينه إلى باريس وارتباطه بها فرغم البعد إلا أنه ظل متمسكا بها بإنجازاته العظيمة التي حصل عليها هناك: {أتذكر أياما مهمة في حياتي خصوصا لما كنت أتلقى الأوسمة الشرفية في باريس، وسام صليب الحرب، وسام المناضل، وسام جوقة الشرف، وميدالية الفارين التي منحت لي تكريما لشجاعتني في الفرار من معتقل ألماني².

ما نستخلصه من هذه العلاقة أن الذات تعيش صراعا داخليا بين الحب والكره، هذه الثنائية الضدية ولدت له مشاعر حقيقية في نفسه لم يستطع بدوره الفرار والتغلب عليها فعيشه في مدينة بوسعادة مدة طويلة و الخيبات التي تلقاها في حياته منها إلا انه ظل وفيها ومنتما لها طول حياته.

• علاقة حياد:

نجد في هذه العلاقة عدم وجود رابط أو ميل تجمع الشخصية بالمكان إذ لا يؤثر فيه وتكون الشخصية بعيد عنه غالبا ما يكون مكانا ثانويا تمثل هذا المكان من خلال البار وما نلاحظه أنه لا توجد علاقة أو انحياز لهذه الحانة بالشخصية الرئيسية "جوزيف" بل أنه متعلق بشخصية "خضرة بنت الطاوس" التي فضلت أن تعيش حياتها في المجون والرقص واستعراض جسدها للجنود الفرنسيين مقابل المال ومن ذلك أيضا نذكر المستوصف الذي نشأت فيه علاقة حب جمعت بين "جونيفياف" و"عبد الحميد": {يلتقيها يوميا في الرواق أو في قاعة العلاج ويتعمد اختلاق الأسباب لتحيثها وللحديث إليها³.

من خلال ذلك نستنتج أن المكان بنية نصية يستطيع من خلالها الروائي التفاعل والانسجام مع الأحداث والشخصيات، فالعلاقة بين الشخصية والمكان ضرورية ومتبادلة تمنح بذلك العمل الروائي طابعه الجمالي.

¹ - المرجع نفسه: ص 79.

² - المرجع نفسه: ص 21.

³ - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 123.

3- سؤال الانشطار في ما كان وما سيكون:

أ- الزمن كحالة ضياع:

إن الزمن في العمل الإبداعي، هو نوع من تصالح الإنسان مع ذاته، إذا كان فعلا أن الإنسان هو الزمن، "الذرايين" بمفهوم هايدجر، إذ في هذه الحالة نقترّب من الزمن أكثر، لأنه كـ "أنا أكون"¹.

وبهذا يتحول الزمن في العملية الإبداعية إلى أداة طبيعية تسهم في جماليات النص الأدبي، لتسمو به إلى مرتبة الخلود.

إن الزمن ذو طبيعة متحركة، غير ثابتة على حال، بل دافعة جارفة، وهذه الطبيعة المتحركة هي التي جعلته { يتحد بالوجود ثم العدم، بالحضور ثم الفناء، والزمان هو الذي يبني الإنسان بموته وزواله، وعبثية كل وجوده، كما يبشر بالجديد الوافد، الميلاد الذي سوف يحدث والجديد الذي سوف يطراً، مثل ما أن الموت سوف يحدث، والطارئ سوف يبلى إن الزمان هو الذي يحمل أمل الإنسان ويأسه، مجده وتفاهة شأنه، إنه الكيان الموجود الفاني}².
وبسبب هذه الحركة السريعة المروعة، التي تسعى إلى فناء الإنسان، نجد كثيرا من الحضارات الإنسانية القديمة والحديثة، تلجأ إلى بعض معتقداتها وميثولوجياتها، لتحتمي بها من هذا الفناء المطارد لها دائما، ومن ذلك ما ذهب إليه "نصر حامد أبو زيد" مبينا بعض صفات الحضارات في قوله: { إذا صح لنا إذا صح لنا بكثير من التبسيط أن نختزل الحضارة المصرية القديمة هي حضارة ما بعد الموت، وإن الحضارة اليونانية هي حضارة العقل أما الحضارة العربية الإسلامية فهي حضارة النص}³.

إن ما أردت الوصول إليه، هو أنه إذا اعتبرنا الحضارة المصرية القديمة، هي أحد الوجوه المشرقة في حضارة الإنسان، لتبين لنا كيف أن هذه الحضارة بذلت كل ما في وسعها

¹ فرانسواز داستور: هايدجر، والسؤال عن الزمان، تر: سامي أدهم المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص25.

² عبد الرحمان بدوي: الزمان الوجودي، النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1955، ص20.

³ نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط1، 1990، ص9.

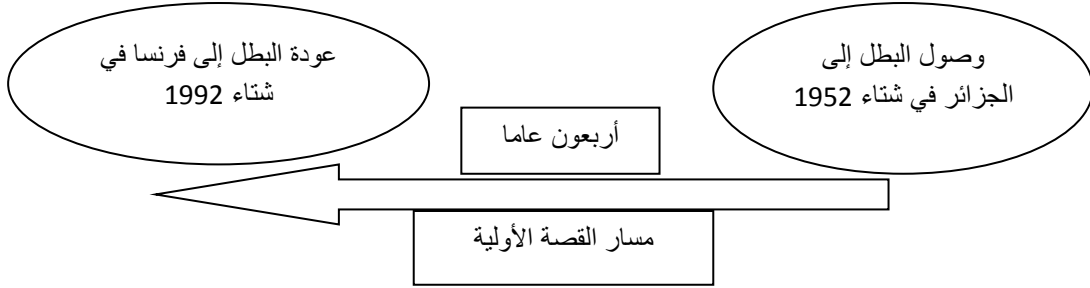
الفصل الثاني سؤال الذات من منظور الآخر في الرواية (أربعون عاما في انتظار إيزابيل)

للهرب من الزمان وتحقيق الخلود، وذلك بإنشاء الأهرامات الشاهدة على هذا التحدي الإنساني للزمان بالإضافة إلى كل المقابر الفرعونية، وما احتوته من مقتنيات نفسية

• الاسترجاع في الرواية:

سننظر في هذا الفصل الذي خصناه للجانب التطبيقي في رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل، وكيفية توظيف السارد لها.

وقبل الخوض في تحديد كيفية اشتغال الاسترجاع والاستباق في الرواية يجب علينا تحديد زمن القصة الأولية الذي سيساعدنا في تحديد المفارقة الزمنية ونمثل له بالمخطط التالي:



يمثل هذا المخطط مسار القصة الأولية حيث بدأ سرد الأحداث في شتاء 1952 ليغطي فترة دامت أربعة عقود، لتنتهي في شتاء 1992. حاكت الأربعون عاما فترة مهمة ومسارات مفصلية في تاريخ الجزائر من تفجير الثورة وصولا إلى العشرية السوداء. قام السارد بتوظيف شخصيات حقيقية وأحداث تاريخية كما أجاد التنقل بين الأزمنة من ماضي وحاضر ومستقبل.

غلبت على رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" الاسترجاعات التي جعلت أحداثها تأتي في فترات زمنية غير مرتبة وغير متسلسلة، وقد تعمد "سعيد خطيبي" هذا كون بطل الرواية كان مولعا بشخصية تاريخية ولضيق المقام لم يسعنا إدراج كل الاسترجاعات، إذ أننا سنقوم بدراسة بعض الاسترجاعات التي ارتأينا أنها تمثل أهم المنعطفات والتحويلات في حياة البطل وعلاقاته بالزمن والشخصيات.

❖ الاسترجاعات الخارجية:

هي مجمل الأحداث السابقة عن مسار القصة الأولية وظفها السارد بكثرة نظرا لحب البطل جوزيف لشخصية تاريخية وهي إيزابيل ايبهرارت التي سبقت ميلاده بسنتين. عاد بنا السارد (البطل) إلى أحداث تم إهمالها سابقا في الخطاب السردي ليتم ويسد ثغرات سابقة في (مسار القصة الأولية)، فمن خلال قوله: {فأنا لم أفكر يوما في الحرب... سليمان أهني}¹، يروي البطل جوزيف عن تورطه في الحروب دون أن تكون له رغبة في ذلك حيث قتل أناسا في فرنسا والجزائر، ليفارق زمن السرد الآتي إلى الماضي ويحكي عن إيزابيل ايبهرارت التي كانت أيضا تقتل رجالا بهجرانها لهم، وكادت تقتل ذات مرة بطعنة سيف وهي شابة في الرابعة والعشرين من عمرها، وهنا يتضح لنا أن هذه الأحداث سابقة عن مسار القصة الأولية.

أورد السارد تواريخ مهمة مثل ثورة الجزائر 1954 واغتيال إيزابيل في جانفي 1901 التي ساعدتنا في تحديد المفارقة.

أما في قوله {وأنا أحاول تخيل وجه... ربطتها علاقة حميمية بها}²، و {ولم يفعل مثل إيزابيل... كانت تسرق في شربها}³ غاب التحديد الزمني الدقيق.

أعاد البطل ذكر أحداث سابقة تم ذكرها مسبقا في الخطاب السردي، ليذكر متلقي الحكاية بأحداث هامة في الرواية ففي قوله: {مع إيزابيل التي ربما كانت تدفئ قلبها... كانت تستفزني للحاق بها}⁴، يكرر جوزيف قصة لالة فاطمة شيخة الزاوية الريحانية صديقة إيزابيل المقربة، التي كانت علاقتها مع أباء عمومتها سيئة، لما حاولوا أخذ منصبها منها وتمكنهم منه بعد إصابتها بمرض خبيث أود بحياتها. لم يصرح البطل بزمن دقيق لهذه الأحداث.

¹ - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 33.32.

² - المرجع نفسه: ص 65.

³ - المرجع نفسه: ص 87.86.

⁴ - المرجع نفسه: ص 113.112.

أضاء البطل سوابق شخصيات جديدة وسلط الضوء على ماضيها نلاحظ هذا في القول { أول الخسائر في حياتي ... منها الود والحنان اللازمين¹ }، أنار "جوزيف" ما في والدته وهي شخصية جديدة في الرواية لم يسبق أن تحدث عنها من قبل فهي تلك المرأة الدافئة التي تزوجت في سن التاسع عشر، لتترمل في سن الثلاثين، ويهجرها جوزيف وهو في سن الخامس عشر، وتتوفى والدته بالسرطان الكبد ليخسرهما نهائيا.

وظف البطل استرجاعات كثيرة لها وظيفة الإنارة واستحضر بعض قصص الشخصيات أمثال شيخة الزاوية الريحانية لالة فاطمة، ووالدته "آن لور" وخضرة بنت الطاوس والرسام عبد الهادي ومبروكة صاحبة اللوحة الفنية ولم يستثني البطل جوزيف اسم كاتب الرواية سعيد خطيبي ووالده "سي لخضر".

❖ الإسترجاعات الداخلية:

هي مجمل الأحداث التي وقعت داخل الحقل الزمني للقصة الأولية وظفها السارد متحدثا م خلالها عن أهم الأحداث التي وقعت له خلال أربعين سنة قضاها في الجزائر (1952-1992).

عاد بنا البطل "جوزيف" إلى أحداث تم إهمالها سابقا ليتم ويسد ثغرات في مسار القصة الأولية، فمن خلال قوله { عرفت حرب الجزائر ... بطبقاتها السفلى والعليا² } يروي لنا جوزيف ما شهده من أحداث تاريخية بداية من حرب إسرائيل مرورا بمظاهرات ماي (1968) وحرب العرب عام (1973) وخطابات بومدين الصاخبة وغضب أكتوبر (1988)، وسقوط جدار برلين سنة (1989) وحرب الخليج الأولى إلى حرب الخليج الثانية، وقد اجتهدنا في البحث عن تواريخ هذه الأحداث أعاد البطل ذكر أحداث سابقة تم ذكرها مسبقا في مسار

¹ - المرجع نفسه: ص 78.77.

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 30.

الخطاب السردي، لذكرنا البطل بأحداث هامة في الرواية، ففي قوله: {التجمعات السياسية التي لا تنتهي... وهزم الأحزاب وحده}¹.

يكرر جوزيف حدثا تاريخيا ذكره مسبقا في الصفحة 13، تحدث فيه عن أنصار حزب العدالة، الذي فاز بالدور الأول من الانتخابات التشريعية والتجمعات الكبيرة التي أقاموها في المدينة، مرددين شعارات أثارت الرعب في نفس جوزيف.

أضاء البطل سوابق شخصيات جديدة وسلط الضوء على ماضيها وهي شخصيات صادفت البطل بعد مجيئه للجزائر أي أنها تتدرج ضمن القصة الأولية.

لم يؤشر السارد لمعظم هذه الإسترجاعات حيث نرى في قوله {قبل ثلاث سنوات، سمعت أن كاتبة... من مثيلات مدام دوستايل}²، تحدث عن سماعه بانتحار كاتبة شابة قبل ثلاث سنوات كتبت قصص وقصائد باسم مستعار كانت قارئة وفيه لإيزابيل ايبهرارت لتقاطع حياتهما كثيرا، فكلاهما عاشتا خيبات ومغامرات عديدة.

صرح البطل بمدى هذه المفارقة في حين غاب التأثير لسعتها، على عكس هذا القول {اشتريتها قبل ثلاثة وعشرين عاما... ولم يعد مجددا}³، الذي تحدث فيه "جوزيف" عن سهر الرسام "إدوارد فارشا فليت" الذي أراد شراء إحدى لوحاته من عند البطل. وجوزيف وهو مخرج سينمائي يقيم في الجزائر العاصمة حيث قايبه اللوحة مقابل مبلغ محترم.

أشار السارد (البطل) إلى مدى وسعت هذه المفارقة فقد اشترى اللوحة منذ ثلاثة وعشرين عاما وهو مدى المفارقة، وزاره صهره "فارشا فليت" قبل عامين من زمن السرد الآتي:

❖ الاستباق في الرواية:

وردت الاستباقات بصورة قليلة على عكس الاسترجاعات التي تم توظيفها بكثرة في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"، وهذا لأن {من تقنيات الراوي الحديثة إثارة عنصر

¹ - المرجع نفسه: ص 134.

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص 28.

³ - المرجع نفسه: ص 19.

التشويق السردي لدى القارئ، أي أن نتائج الأحداث تأتي بالتدرج وكل حسب مقام سرده لكن مع الاستباقيات لا يمكن للسارد الاحتفاظ بها بل يقدمها قبل أن يحين زمان سردها، بالإضافة أن زمن الرواية مرتبط بالحاضر وبالرجوع إلى الوراء¹.

- الاستباقيات الخارجية:

هي مجمل ما يتوقع السارد حدوثه لاحقا وتكون خارجة عن مسار القصة الأولية رغم قلتها في الرواية إلا أن السارد جوزيف وظفها لأنه كان خائفا من تحولات الأوضاع السياسية التي باتت حساسة في الجزائر وهو ما دفعه إلى تخمين فيما سيحدث مستقبلا. قام السارد بسرد ثغرة حكائية لاحقة خارجة عن مسار القصة الأولية ولم يورد لنا أزمنة تساعدنا على تحديد المدى والسعة لهذه المفارقات بل تعتمد جوزيف استعمال مصطلحات دالة على المستقبل البعيد لقوله {تقتي كبيرة في أناس يأتون من... المتقلبة والمتبعثرة}²، وقوله: {لو مت في هذه المدينة... بلا شواهد وبلا هوية}³، بعد موتي على الأقل سيزورني سليمان في مرقي، وفي قوله {لا شيء ينبئ بأن نهايتي... بروح الرحالة الرومية}⁴ جوزيف متخوف من موته الذي من الممكن أن يشابه ميته إيزابيل أو أسوء منها، فيقرر أن يكتب وصية يوصي فيها عن الرغبة في دفنه بعد موته في مقبرة عين الصفرة بمحاذاة قبر إيزابيل ايبرهارة.

استبق البطل أحداثا من المحتمل وقوعها كما يمكن لها أن لا تقع وذلك من خلال ما يعايشه من اضطرابات وقلق، وخوفا مما ستؤول إليه الأوضاع السياسية في الجزائر بعد أيام، أو شهر، أو سنوات، باعتبار أن أول من يتأثر بالتقلبات السياسية هم الأجانب. غابت الاستباقيات الخارجية التكرارية في الرواية، فكما أشرنا سابقا أن الاستباقيات ندرت فإن الاستباقيات الخارجية القليلة التوظيف لم يتم تكرارها، إلا في حالة واحدة وردت في

¹ - محمد بوتالي: تقنيات السرد في الرواية، الغيث لمحمد ساري، ص57.

² - المرجع السابق: سعيد خطيبي، ص12.11.

³ - المرجع نفسه: ص102.

⁴ - المرجع نفسه: ص108.107.

الصفحة الأخيرة من الرواية فقد أعاد البطل حديثه عن أجيال توقع أن تأتي من بعد، وتكتشف فيه المدفون الذي قد يلقي انتشارا واسعا وتداولا كبيرا أو احتقارا وطمسا لوجوده وكل هذا أردفه باتخاذهم بيته مسجدا أو قبة للزاهدين أو قولهم عليه أنه ساعد مجاهدين جزائريين، أو تحريف اسمه حتى.

وظف البطل (السارد) مصطلحات تدل على المستقبل البعيد ولم يصرح بزمن معين يساعدنا على تحديد مدى وسعة هذه المفارقة بدقة.

- الاستباقات الداخلية:

هي ما يتوقع السارد حدوثه داخل مسار القصة الأولية، لم يوظفها السارد (البطل) كثيرا، فقد تطلع جوزيف إلى أحداث مستقبلية بعيدة.

لم يورد لنا البطل أزمنة تساعدنا على تحديد المدى والسعة لهذه المفارقة بل اعتمد على مصطلحات دالة على المستقبل القريب لقله { سأرسم لوحتين أخيرتين... عشت لأرسم وأدفن فني}¹ وقوله أيضا: { قريبا سأرحل وسيندمون عن ما راودهم من سوء صن اتجاهي واتجاه سليمان}²، فالسارد هنا أراد أن يسد ثغرة لاحقة في مسار القصة الأولية لم ترد الاستباقات الداخلية ذات الوظيفة التكرارية في الرواية.

وفي الأخير نخلص إلى أن السارد (البطل جوزيف) عاد إلى الماضي في ما يقارب مئة واستشرف المستقبل في حوالي عشرين استباقا وهذا التفاوت الواضح في نسبة توظيفها راجع لكون زمن القصة ينحصر في أربعين عاما، فعودته إلى الماضي امتدت إلى طفولته وحتى أبعد بكثير إلى الفترة التي عاشت فيها الرحالة الرومية إيزابيل ايبهرارت وبالضبط مجيئها للجزائر في مايو 1897، واعتناقها للإسلام وركز فيها على عودته إلى الماضي وهو

¹ - المرجع السابق، سعيد خطيبي، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 132.

الفصل الثاني سؤال الذات من منظور الآخر في الرواية (أربعون عاما في انتظار إيزابيل)

ما شكل الحدث الرئيسي في الرواية، في حين ركز في استشرافه للمستقبل على رجوعه إلى فرنسا يوما ما، وهو ما يصادف نهاية القصة سنة 1992.

الخطمة

خاتمة

في الختام تبقى هذه الدراسة مجال مفتوح في أبحاث أخرى قادرة على استجلاء ودراسة وكذا الإحاطة بكل ماخفي عنا نظرا لما تتطلبه هذه الرواية فبعد هذه الرحلة البحثية ومناقشتنا لعناصر الرواية والتحليل، لنا أن نستقر على نتائج البحث التي خلصنا إليها في بحثنا: **أسئلة الذات في رواية أربعون عاما في انتظار ايزابيل لسعيد خطيبي** .

فلا بد لنا أن نذكر منها:

- ❖ في الجانب النظري لاحظنا اختلاف النقاد في تحديد مصطلح الذات بحيث تعددت المفاهيم للمصطلح الواحد: **نفسيا - أخلاقيا - اجتماعيا - فلسفيا** .
- ❖ تمثل مدينة بوسعادة في هذه الرواية المكان الذي تدور فيه جل أحداث الرواية والتي تعكس حالة اللاتوازن وعدم الاستقرار الذي تعاني منه الشخصيات خاصة شخصية جوزيف وصديقه سليمان نتيجة الأوضاع المضطربة بسبب قرب الانتخابات.
- ❖ جرت أحداث الرواية على مكانين أحدهما **مغلق** وضم "البيت - المسجد - الكنيسة" وآخر **مفتوح** وتمثل في "مدينة بوسعادة - الأحياء - الشوارع - المقبرة" وما لاحظناه هو تغليب الأماكن المفتوحة على المغلقة.
- ❖ إن معالجتنا لتيمة العنوان من خلال الزمن في الرواية **{انتظار 40 عاما}** كشف لنا عن أهميته باعتباره علامة مهمة وجسرا حاسما يمكن من خلاله التغلغل إلى أغوار النص .
- ❖ نخلص في الأخير ومن خلال مذكرناه سابقا أن الذات لها دور كبير في رواية **أربعون عاما في انتظار ايزابيل** وذلك من خلال تنمية وتطوير ذات الإنسان الجزائري وهذا ما أثبتته الساحة الأدبية من خلال الناحية الثقافية والفكرية وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولاً: المصادر الأساسية:

1-سعيد خطيبي، رواية أربعون عاما في انتظار ايزابيل، مكتبة نوميديا، منشورات الاختلاف منشورات الضفاف، الجزائر العاصمة ، بيروت ،ط1 ، 2016 .

ثانياً: المراجع:

1)إبراهيم أحمد ملحم: شعرية المكان، قراءة في شعر مانع القبيبة - عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط1، 2011 .

2)إبراهيم الدقات وآخرون: القضية الفلسطينية وتحديات الوجود والهوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.

3)ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم،تر: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، د ت.

4)أدغار موران: نهج الإنسانية البشرية،الهوية البشرية، تر: هناء صبحي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1، 2009.

5)أليكس ميكشيليلي: الهوية، تر: علي وقفة، دار الوسيم،دمشق، ط1، 1995.

6)أمين معلوف: الهويات القاتلة، قراءات في الانتماء والعولمة،تر: نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1 ، 1999.

7)إيريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، تر: سعد أهران المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989 .

8)باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث وجدار للكتاب العالمي، في مفترق الطرق، إريد، الأردن، ط1، 2008 .

9) بشير بويجرة محمد: الشخصية في الرواية الجزائرية (1970-1983)، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر.

10) بوبكر الجيلالي: اللغة والهوية والعولمة، معركة المفاهيم ضمن كتاب السؤال عن الهوية في التأسيس والنقد والمستقبل، د ط، د ت .

11) جابر عصفور: رواية التراث، كتاب العربي، ع62، د ت.

12) جبران خليل جبران: الأرواح المتمردة، الأنيس، موفم للنشر، الجزائر، 1993.

13) جورج طرابشي: الأعمال النقدية الكاملة، د ط، د ت.

14) الحبيب السائح: ذاك الحنين، دار الحكمة، د ت.

15) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990 .

16) حميد الحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د ط، د ت.

17) الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1980.

18) سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي، العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، د ط، د ت.

19) سيغموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، 1982.

20) شاكرا النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994 .

21) الشريف الحبيبة: بنية الخطاب الروائي في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010 .

22) الشريف حبيبة: مكونات الخطاب السردي، مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، د ط، 2011.

23) الطاهر وطار: رواية اللاز، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1981.

- 24) عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1976)، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1982 .
- 25) عبد الحميد بورايو: منطق السرد، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، د ط، 1994 .
- 26) عبد الرحمان أيوب: الذاكرة واللسان، المجلة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، د ط، 1999.
- 27) عبد الرحمان عبد الحميد علي: النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د ط، 2005.
- 28) عبد الرحمن بدوي: الزمان الوجودي، النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1955.
- 29) عبد الله الغدامي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي للنشر، المملكة المغربية، دار البيضاء، ط2، 2001.
- 30) عبد المالك مرتاض: أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 08 ماي - جوان، الجزائر، د ط، 1972.
- 31) عمرو عبد العلي علام: الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)، د ط، د ت.
- 32) غاستون باشلار: جماليات المكان، غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984.
- 33) فاطمة موسى بين أديبين: دراسات في الأدبيين العربي والانجليزي، الانجلو المصرية، د ط، 1965.
- 34) فراشواز داستون: هيدجر والسؤال عن الزمان، تر: سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

35) فيلهم هارلي: مفهوم (العدو) في ضوء عملية التوحيد والسياسات الأوروبية ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا، إشراف طاهر لبيب وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

36) الكبير دادسي: مسارات الرواية العربية المعاصرة، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 2018.

37) كمال بركاني: رواية امرأة بلا ملامح، منشورات إختلاف، الجزائر، ط1، 2001.

38) لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

39) لؤي خليل: الأدب والموقف من الآخر، (حي ابن يقضان لابن طفيل، ورونيس كروز لدانييل ديغو نمونتي)، مجلة الجامعة، دمشق، سوريا، مج30، ع21، 2014.

40) ماجد عبد الله القيسي: مستويات اللغة السردية في الرواية العربية، دار غيداء، ط، د ت.

41) ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2013.

42) ماري مادلين داقي: معرفة الذات، تر: نسيم نصر منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1993.

43) مالك أحمد أبو ناصر: تحقيق الوجود الإنساني في التصوير الإنساني، منشأة المعارف، مصر، ط، د ت.

44) محمد الزحيلي: وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، جمعية الدعوة الإسلامية، 1991.

45) محمد بوتالي: تقنيات السرد في الرواية الغيث لمحمد ساري، ط، د ت.

46) محمد رياض وتار: توظيف التراث الشعبي في الرواية العربية المعاصرة، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2002 .

47) محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 1999.

48) مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1983 .

49) منصور قيسومة: إتجاهات الرواية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين: الدار التونسية للكتاب، د ط، 2013 .

50) مهدي عبيدي: المكان في ثلاثة حنا مينة (حكاية بحار الدقل، المرفأ البعيد)، د ط، د ت.

51) نبيل علي: منظومة القيم والمعتقدات، منظور عربي معلوماتي، الثقافة العربية وعصر المعلومات (سلسلة عالم المعرفة)، ع 265، المجلس للثقافة والفنون والآداب، د ط، يناير 2001 .

52) نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، لبنان، بيروت، ط1، 1999.

53) الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية، قراءات مغربية، دار النشر رابطة أهل القلم، ط1، 2008.

54) ينظر: بعلي حفناوي: تمثلات الممنوع والمقموع في الرواية العربية المعاصر، دار اليازوري العلمية، ط1، 2016.

ثالثا: القواميس والمعاجم:

1) ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف ، مادة آخر.

2) انطوان نعمة وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مادة آخر.

3) عبد الرحمان بدوي: موسوعة فلسفة ، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984.

4) مصطفى سويف وآخرون: معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1975 .

5) معجم الأخلاق، تر: توفيق سلام ، دار التقدم، موسكو، د.ت.

رابعاً: مواقع الانترنت

55) <http://taadudiya.com>

56) http://www.marefa.org/index.php?title=action_et_redlink=1.

57) <https://mawdo3.com>

58) Retrievoefresearch.org 20/8/2018.Edited "Political conflict"

59) <http://www.allarabia.net>

فهرس الموضوعات

شكر وعران

مقدمة

أ

مدخل

4 - مفهوم النقد الثقافي

5 - الأخرية والغيرية في النسق الثقافي

الفصل الأول: الذات والآخر في الرواية الجزائرية

8 أولاً: مفهوم الذات والآخر

8 1- مفهوم الذات

8 - لغة

9 - اصطلاحاً

9 أ- اجتماعياً

10 ب- أخلاقياً

11 ج- نفسياً

11 د- فلسفياً

12 ثانياً: مفهوم الآخر

12 - لغة

13 - اصطلاحاً

14 - الآخر في المفاهيم النفسية والأدبية

15 ثانياً: الذات في الرواية الجزائرية والعربية

16 رواية امرأة بلا ملامح

17 رواية ذاك الحنين

18 رواية اللاز

20 رواية الحي اللاتيني

22	رواية الستينيات
24	ثالثا: نماذج لسعيد خطيبي
24	رواية حطب سرايفو
26	رواية كتاب الخطايا

الفصل الثاني: سؤال الذات من منظور الآخر في الرواية {أربعون عاما في انتظار إيزابيل}

30	أولا: إيزابيل ومرآة الذات
30	1- قراءة في عنوان الرواية {أربعون عاما في انتظار إيزابيل}
34	2- الشخصيات
35	- شخصية جوزيف وإيزابيل
37	3- أسئلة الذات في الرواية الجزائرية
37	- جوزيف / سليمان
39	- جوزيف / مباركة
41	- إيزابيل / فاطمة
41	ثانيا: سؤال الهوية من خلال تيمة الاغتراب
41	1- سؤال الهوية
43	أ - تمثيلات الهوية
51	ب - بين الهوية والانتماء {انشطار الهوية}
55	2- المكان ومفارقة الذات والآخر
56	أ - الأماكن المفتوحة
63	ب - الأماكن المغلقة
69	ج - علاقة الشخصية بالأمكنة
73	3- الانشطار في ما كان وما سيكون
73	أ - الزمن كحالة ضياع

74

ب - الاسترجاع في الرواية

78

ج - الاستباق في الرواية

82

الخاتمة

84

الملحق

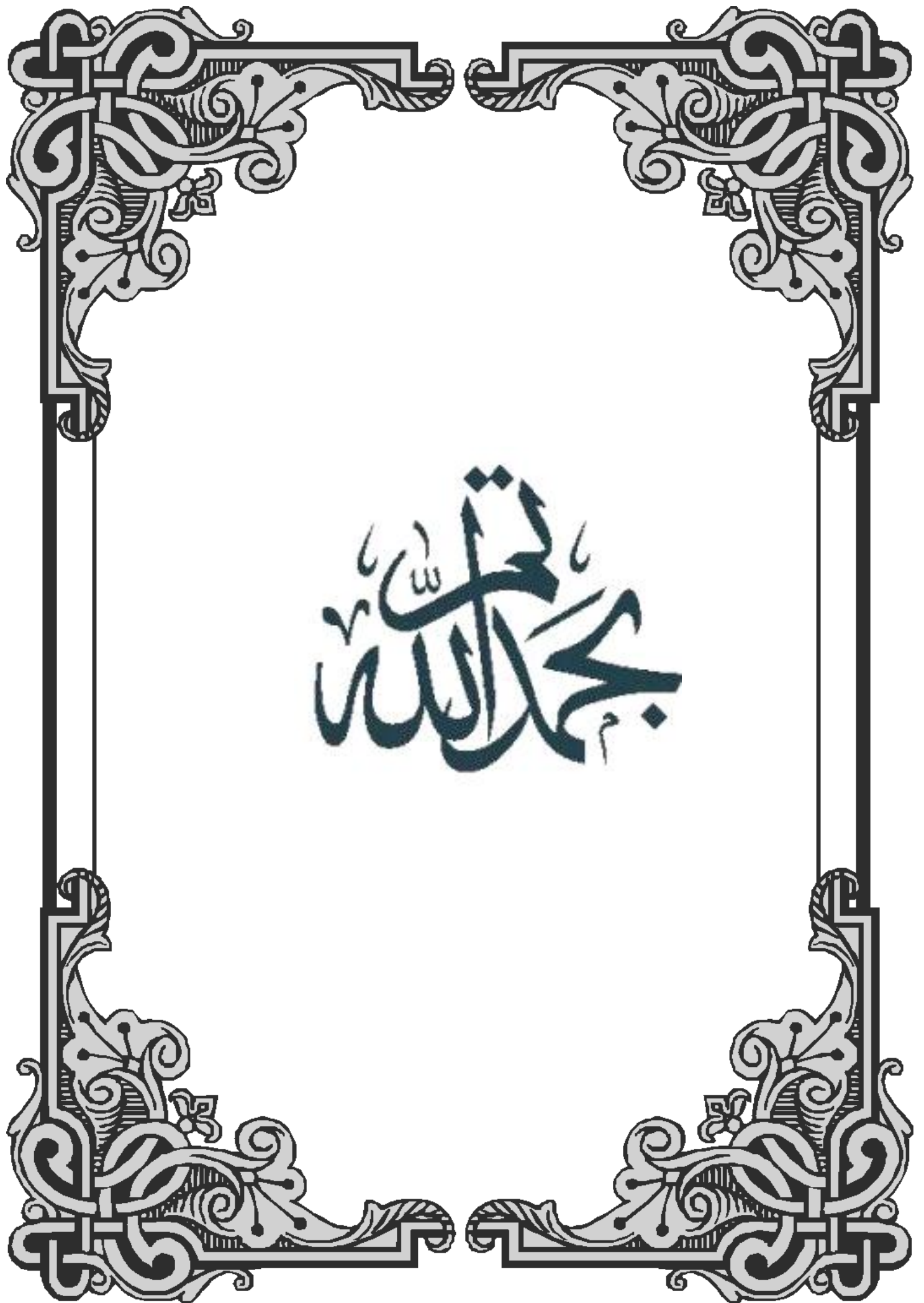
87

قائمة المصادر والمراجع

94

فهرس المحتويات

الملخص



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص:

تعد الذات من أبرز المواضيع التي عالجها الروائي "سعيد خطيبي" في روايته "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"، والتي تتضمن إشكاليات منظور الآخر للأنا، ومنظور الأنا للآخر، ومنظوره للواقع بتوظيفه شخصيات تاريخية مبدعة ومنظورها الأدبي والفني للواقع والمجتمع الجزائري.

حيث عرضنا في الفصل الأول المفاهيم المتعلقة بالذات والآخر وخاصة تجليات الذات في الرواية العربية والجزائرية، أما الفصل الثاني فتناولنا فيه تطبيقا على رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" من خلال سؤال الذات من منظور الآخر ومن خلال تيمة الاغتراب.

الكلمات المفتاحية: الذات، سؤال الهوية، الاسترجاع، الاستباق

Abstract :

The self is one of the most prominent topics addressed by the novelist "Saeed Khatibi" in the novel "forty years waiting for Isabel" which includes problems of the other's perspective of the ego and thee perspective creative historical characters and its literary and artistic perspective of reality and Algerian society.

In the first chapter, we presented concepts related to the self and the other, especially the manifestations of the self in the Arab and Algerian novels, while the second chapter dealt with an application of thee novel "forty years waiting for Isabel" through asking thee self from the perspective of the other and through the development of alienation.

Key words: Self, question of identity, retrieval, proactive